التحقيقات الجلية

في

نقد كلام شيخ الإسلام ابن تيمية

في موضوع الجان وصرع الشيطان

[وبيان ما في كلامه من مخالفات صريحة لمنهج السلف، وترسيخ للبدع والضلالات والخرافات المنتشرة بين الناس].

سيف النصر علي عيسى

قبل أن تصدم من العنوان اقرأ ما يحويه الكتاب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

أما بعد:

فإن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أعلام الأمة الذين لا يشق لهم غبار، وما قدمه للإسلام والذود عن حياضه لا ينكره إلا جاحد، أو حاقد.

ولكن مما يؤسف له أن شيخ الإسلام تعامل معه ثلاث طوائف:

الأولى: غالية فيه لدرجة أن كل ما يقوله شيخ الإسلام فهو حق، وصار التعصب له وتقليده ممن يدعي السلفية خرج عن منهج السلفية.

والثانية: غالية في نقده والتعصب ضده حتى صار بالنسبة لهم شيطانا، وهؤلاء أهل البدع والضلال من الصوفية والأشاعرة والشيعة والخوارج والعلمانيين والمستشرقين.

الطائفة الثالثة: تعاملت مع شيخ الإسلام باعتباره عالم من علماء المسلمين له ما له وعليه ما عليه وأن ما يقوله يوضع في ميزان الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، فما وافق فهو الصواب، وما خالف فهو خطأ.

وهؤلاء هم أهل العلم ممن يعرفون التقليد وحرمته، فإذا ما أخذوا قولا لشيخ الإسلام ظنوه صوابا عملوا به فإذا تبين لهم أنه خطأ تركوه.

وهذه الطائفة لا يقبل قولهم المتعصبة والمقلدة الجهلة؛ بل يغضون الطرف عنه وكأنهم لم يسمعوه.

ولذلك كما أصاب شيخ الإسلام رحمه الله في مسائل كثيرة، فإنه أخطأ وجانبه الصواب في مسائل كثيرة، وكان لزاما على كل طالب علم سلفي العقيدة والمنهج أن يعرف ذلك، ويضع كلامه وفق الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فما كان من صواب أثبتناه وما كان من خطأ رفضناه ورددناه.

والشيخ رحمه مجتهد مأجور، فإذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر.

ولما رأيت التعصب له ظاهرا ممن يدعي السلفية حتى إذا طلبت دليلا على مسألة أتى لك بكلام شيخ الإسلام، وهذه إحدى الطوام.

فكلام العالم مهما كان ليس بدليل؛ إنما الدليل هو الكتاب والسنة.

ولو استدل العالم بالكتاب والسنة لابد من عرض كلامه على الأصول العامة للشريعة الإسلامية وفهم السلف. وليس مجرد أن يستدل عالم بدليل من القرآن أو السنة نسلم له؛ لأن هذا تقليد أيضا لفهم العالم.

وقد تعرضنا إلى البحث في مسائل المس الشيطاني والرقية والسحر، ونظرنا إلى منهج الصحابة في ذلك، وما يعتقده كثير من أهل العلم في العصر الحالي، وجدنا أن كل هذا تقليد لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ومن سار على منهجه من تلاميذه أمثال ابن القيم، ومن تأثر به في عصره أمثال الشبلي، ثم من جاء بعده.

وقد توسع في الأمر في العصر الحديث حتى وصل عدد الكتب فيه إلى أكثر من مئتي كتاب في حين في الماضي لا يوجد غير أربعة كتب فقط.

وقد تطاول المعاصرون من مقلدة وجهلة وأصحاب نفوس مريضة حتى توسعوا بما لم يتوسع فيه شيخ الإسلام، وبنوا على كلامه أحكاما وبدعا جديدة لا حصر لها.

ومن هنا كان لزاما أن نرجع إلى أصل الموضوع وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية ونضعه وفق منهج الصحابة رضوان الله عليهم.

ورسالته" إيضاح الدلالة في عموم الرسالة" هي الأصل وهي موجودة في مجموع الفتاوى المجلد التاسع عشر، وأيضا له كلام في المجلد الرابع والعشرين، وغيرها من كتبه وفتاويه.

وقد جمع الشيخ مشهور حسن سلمان حفظه الله كل ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب واحد سماه" فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان" ويقع في مجدلين، وهو جمع طيب يدل على عمق البحث وجودة التصنيف كما هو معهود عنه؛ لكنه حفظه الله أثنى على كل ما قاله ابن تيمية في هذا الشأن في الجملة وادعى أنه منضبط بفهم السلف، إلا في مسائل مثل كلام الشيطان على لسان الإنسان، ومناكحة الجان، وهذا قد جانبه الصواب في مسائل أخر وأبعد النجعة، فإن ابن تيمية تأثر تأثرا بالغا برده على صوفية ودجالين عصره فوقع في كثير مما قالوه واعتقدوه، ودلل عليه أحيانا من القرآن في غير موضعه، وأحيانا بالتجارب وبما سمعه من الناس، ووقع في قياسات فاسدة خلط بين القياسات العقلية والقياسات الشرعية كما سترى حين نعرض لكلامه ونضعه في ميزان السلف.

ونحن نقول: شيخ الإسلام حبيب إلينا ولكن الحق أحب إلينا من شيخ الإسلام. رحمه الله وغفر له.

ولذلك سيكون كلامنا فيها بإذن الله تعالى، نطرح ما قاله شيخ الإسلام ثم نبين ما فيه من صواب وخطأ.

ونبين منهج السلف في ذلك. وأنه هو الأصل الذي يوزن به كلام كل عالم.

ومعلوم أن كلام السلف على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: اتفقوا على فهم ما في مسألة ما فهذا حق لا يحق لأحد الاختلاف فيه.

القسم الثاني: لم يرد عنهم حكما في مسألة كانت موجودة في عصرهم ولم يتطرقوا إليها، فالأصل ترك ما تركوه وعدم التطرق إليه. فمن أحدث شيئا لم يقولوا به فهو بدعة، مثل اعتقاد كلام الجني على لسان الإنس والحديث معه. كما سيتضح في الكتاب.

القسم الثالث: اختلفوا في مسألة ما

وهذا الأخير على حالات:

الحالة الأولى: اختلفوا في فهم آية أو حديث، وهذا قليل أو نادر ما يحدث، ولكن لو وقع فالأمر فيه سعة.

الحالة الثانية: كان مع فريق دليل والآخر ليس معه دليل، فالقول قول من معه الدليل.

الحالة الثالثة: ليس مع أحد دليل وإنما هو محض اجتهاد من الجميع فهنا يرجح القول القريب من الأصول العامة والأدلة الشرعية.

هذا وسوف ننقل من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في تأصيله لمنهج السلف فهو أكثر من برع في هذا الجانب وجلى الأمر جيدا، ثم نضع ما قاله من المسائل الفرعية أمام تأصيله.

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل صالحا وأن يجعله لوجهه خالصا ولا يجعل لأحد فيه شيئا، وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

سيف النصر علي عيسى

ت: ٠٠٢٠١٠٠٨٦٦٧٩١٣

تمهيد

في هذه التمهيد نوضح بعض القواعد التي يجب معرفتها لبيان الحق من الباطل في كلام أهل العلم وغيرهم.

القاعدة الأول: فهم القرآن والسنة بفهم الصحابة

وقد بينا ذلك في عدة مؤلفات لنا، وأفردنا لذلك مؤلفا خاصا، وضحنا فيه وجوب اتباع فهم الصحابة رضي الله عنهم.

وذلك أن القرآن نزل على النبي ﷺ في ثلاثة وعشرين سنة، وفهمه الصحابة رضوان الله عليهم كما أنزل وما أشكل عليهم كانوا يسألون رسول اللهﷺ فإما أن يجيبهم، وإما أن ينزل القرآن الجواب.

ولذلك رضي الله تعالى عن الصحابة ومن تبع طريقهم من غير تبديل ولا تغيير.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠].

قال ابن جرير الطبري:

يقول تعالى ذكره: والذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله من (المهاجرين)، الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم، وفارقوا منازلهم

وأوطانهم (والأنصار)، الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله (والذين اتبعوهم بإحسان)، يقول: والذين سَلَكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام، طلبَ رضا الله (رضي الله عنهم ورضوا عنه). اهـ[1]

قال الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله ـ: (وما رأيُ امرِئٍ في أمر بلَغَه عن رسول الله ﷺإلا اتِّباعه ، ولو لم يكن فيه عن رسول الله ﷺ، وقال فيه أصحابه من بعده؛ كانوا فيه أولى بالحق منّا؛ لأن الله تعالى أثنى على من بَعْدَهم باتِّباعِهم إيّاهم ، فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾؛ وقلتم أنتم: لا !! بل نَعْرِضُها على رأينا في الكتاب، فما وافقه منها صدَّقناه ، وما خالفه تركناه ، وتلك غاية كل مُحْدِثٍ في الإسلام: ردُّ ما خالف رأيَه من السنة).

فمن أَلِفَ منهجهم وفسر القرآن والسنة خلاف ما هم عليه فقد ابتدع في دين الله تعالى.

وقد رد النبيﷺ كل قول أو فعل لم يكن عليه هو ولا أصحابه كما في الحديث عن عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »[2].

(١) جامع البيان (١٤/ ٤٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤٥٨٩).

وقال ﷺ: « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ »[1]

وعَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا أَوْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا. قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ »[2]

وهذا الفهم هو المقياس الذي يرد إليه أقوال الأئمة والعلماء، مهما كان معظما، ومن فعل ذلك نجا من مزالق الضلالة، وثبتت أقدامه على الطريق المستقيم، ولم يتخبط في أحكامه.

(١) أخرجه مسلم(٤٥٩٠) عن عائشة.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٧١٤٤) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٤).

القاعدة الثانية: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع

والمقصود بالاتباع هو اتباع الدليل الشرعي من الكتاب والسنة الصحيحة بفهم سلف الأمة، وترك ما أحدثه الناس من البدع والضلالات مما لا أصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله.

قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف: ٣].

وما أنزل هو القرآن والسنة. فالقرآن نزل من عند الله لفظا ومعنى، والسنة معنى من عند الله ولفظا من النبيﷺ.

قال قتادة: ثم قال للمؤمنين: اتبعوا ما أنزل الله إليكم من ربكم من القرآن. (١)

وقال ابن كثير:

قال تعالى مخاطبا للعالم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره. اهـ(٢)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٣٨٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وذلك أن باب العبادات والديانات والتقربات متلقاة عن الله ورسوله، فليس لأحد أن يجعل شيئا عبادة أو قربة إلا بدليل شرعي. قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى: ٢١] وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾[الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿المص (١) كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾[الأعراف: ١- ٣]. ونظائر ذلك في الكتاب كثير، يأمر الله فيه بطاعة رسوله واتباع كتابه، وينهى عن اتباع ما ليس من ذلك.

والبدع جميعها كذلك، فإن البدعة الشرعية – أي المذمومة في الشرع – هي ما لم يشرعه الله في الدين، أي ما لم يدخل في أمر الله ورسوله وطاعة الله ورسوله. فأما إن دخل في ذلك فإنه من الشرعة لا من البدعة الشرعية. وإن كان قد فعل بعد موت النبي ﷺ بما عرف من أمره:

كإخراج اليهود والنصارى بعد موته، وجمع المصحف، وجمع الناس على قارئ واحد في قيام رمضان، ونحو ذلك.اهـ[1]

وقال رحمه الله:

وبالجملة فالخطاب له مقامات: فإن كان الإنسان في مقام دفع من يلزمه ويأمره ببدعة ويدعوه إليها أمكنه الاعتصام بالكتاب والسنة، وأن يقول: لا أجيبك إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله، بل هذا هو الواجب مطلقاً.

وكل من دعا إلى شيء من الدين بلا أصل من كتاب الله وسنة رسوله فقد دعا إلى بدعة وضلالة، والإنسان في نظره مع نفسه ومناظرته لغيره إذا اعتصم بالكتاب والسنة هداه الله إلى صراطه المستقيم، فإن الشريعة مثل سفينة نوح عليه السلام، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف: ٣].

و«كان النبي ﷺ يقول في خطبته إن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٤/ ٢٥٣).

وقال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في سياق حجة الوداع: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله تعالى».

وفي الصحيح: «أنه قيل لعبد الله بن أبي أوفى: هل وصى رسول الله ﷺ بشيء؟ قال: لا، قيل: فلم، وقد كتب الوصية على الناس؟ قال: وصى بكتاب الله».

وقد قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾[البقرة: ٢١٣] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[النساء: ٥٩]، ومثل هذا كثير.اهـ[1]

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٣٤).

القاعدة الثالثة: التقليد ليس دينا والتعصب له ضلال.

فكل مخلوق يؤخذ من قوله ويترك إلا النبيﷺ.

وكلٌ يُستدل لقوله إلا النبيﷺ فيستدل بقوله.

ولا أحد معصوم من الخطأ في جانب التشريع غير رسول الله ﷺ.

وما أهلك الناس إلا تقليد الرجال والتعصب لهم.

وهذا ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، ومن سلك غير مسلكهم انحرف وضل طريقهم الذي ارتضاه الله لهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

قد ثبت بالكتاب، والسنة، والإجماع أن الله سبحانه وتعالى فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به وينهى عنه، إلا رسول الله ﷺ حتى كان صديق الأمة وأفضلها بعد نبيها يقول: أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم.

واتفقوا كلهم على أنه ليس أحد معصوما في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله ﷺ؛ ولهذا قال غير واحد من الأئمة: كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ.

وهؤلاء الأئمة الأربعة – رضي الله عنهم –، قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه، وذلك هو الواجب عليهم، فقال أبو حنيفة: هذا رأيي فمن جاء برأي خير منه قبلناه، ولهذا لما احتج أفضل أصحابه أبو يوسف، أتى مالكا فسأله عن مسألة الصاع وصدقة الخضراوات، ومسألة الأجناس.

فأخبره مالك بما يدل على السنة في ذلك، فقال: رجعت إلى قولك يا أبا عبد الله، ولو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت إلى قولك يا أبا عبد الله.

ومالك كان يقول إنما أنا بشر أصيب وأخطئ، فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة.

أو كلاما هذا معناه.

والشافعي كان يقول: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فهي قولي.

وفي " مختصر المزني " لما ذكر أنه اختصره من مذهب الشافعي لمن أراد معرفة مذهبه قال: مع إعلامية نهيه عن تقليده وتقليد غيره من العلماء: والإمام أحمد كان يقول: لا تقلدني ولا تقلد مالكا، ولا الشافعي، ولا الثوري، وتعلم كما تعلمنا فكان يقول لمن قلده: حرام

على الرجل أن يقلد في دينه الرجال، وقال: لا تقلد في دينك الرجال، فإنهم لن يسلموا من أن يغلطوا.

وقد ثبت في الصحيح: عن النبي ﷺ أنه قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» ولازم ذلك أن من لم يفقهه الله في الدين لم يرد به خيرا فيكون التفقه في الدين فرضا.

والفقه في الدين معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية، فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقها في الدين، لكن من الناس من قد يعجز عن معرفة الأدلة التفصيلية في جميع أموره، فيسقط عنه ما يعجز عن معرفته، لا كل ما يعجز عنه من التفقه ويلزم ما يقدر عليه، وأما القادر على الاستدلال فقيل: يحرم عليه التقليد مطلقا، وقيل: يجوز مطلقا.

وقيل: يجوز عند الحاجة، كما إذا ضاق الوقت عن الاستدلال، وهذا القول أعدل.

والاجتهاد ليس أمر اواحدا لا يقبل التجزيء والانقسام، بل قد يكون الرجل مجتهدا في فن، أو باب أو مسألة دون فن، وباب، ومسألة، وكل أحد فاجتهاده بحسب وسعه.

فمن نظر في مسألة تنازع العلماء فيها ورأى مع أحد القولين نصوصا لم يعلم لها معارضا بعد نظر مثله، فهو بين أمرين: إما أن يتبع قول

القائل الآخر لمجرد كونه الإمام الذي اشتغل على مذهبه، ومثل هذا ليس بحجة شرعية، بل مجرد عادة يعارضها عادة غيره اشتغاله على مذهب إمام آخر، وإما أن يتبع القول الذي ترجح في نظره بالنصوص الدالة عليه.

وحينئذ فتكون موافقته لإمام يقاوم ذلك الإمام وتبقى النصوص سالمة في حقه عن المعارض بالعمل فهذا هو الذي يصلح.

وإنما تنزلنا هذا التنزل لأنه قد يقال: إن نظر هذا قاصر وليس اجتهاده قائما في هذه المسألة لضعف آلة الاجتهاد في حقه.

أما إذا قدر على الاجتهاد التام الذي يعتقد معه أن القول الآخر ليس معه ما يدفع به النص، فهذا يجب عليه اتباع النصوص، وإن لم يفعل كان متبعا للظن وما تهوى الأنفس، وكان من أكبر العصاة لله ولرسوله. اهـ[1]

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ١٢٣).

الفصل الأول

الجن وتكليفهم بعموم الرسالات

أولا: وجود الجن وتكليفهم بعموم الرسالة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمدا ﷺ إلى جميع الثقلين: الإنس والجن وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله ويحرموا ما حرم الله ورسوله وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ويحبوا ما أحبه الله ورسوله ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول.

وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين: أهل السنة والجماعة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمدا ﷺ إليهم وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك وكما يوجد في المسلمين من

ينكر ذلك كما يوجد في طوائف المسلمين الغالطون والمعتزلة من ينكر ذلك وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك. انتهى كلامه[1]

ونقول:

ما ذكره رحمه الله هو الصواب

والأدلة على ذلك كثيرة.

منها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠)﴾[الأنعام: ١٢٨ - ١٣٠].

وفي هذه الآيات:

١- الحشر يكون للجن والإنس معا وليس خاصا بالإنس وحدهم.

٢- الاستكثار من الإنس: هو إضلالهم

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩).

عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: قوله: يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس في ضلالتكم إياهم، يعني: أضللتم منهم كثيرا. [١]

عن قتادة، في قوله: يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس قال: أضللتم كثيرا من الإنس. [٢]

٣- كان هناك من الإنس أولياء للمردة من الجن والكفار فاستمتع كل منهما بالآخر بصحبتهم في الدنيا وإضلال بعضهم بعضا الاستعانة ببعضهم البعض.

قال الحسن: وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس. [٣]

وعن موسى بن عبيدة قال: سمعت محمد بن كعب يقول في قوله: ربنا استمتع بعضنا ببعض قال: الصحابة في الدنيا. [٤] أي الصحبة.

٤- قال ابن تيمية بعد ذكر أقوال السلف السابقة:

ويدخل في ذلك استمتاع الرجال بالنساء بعضهم ببعض.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٨).

وقال: وفي "الجملة" استمتاع الإنس بالجن والجن بالإنس يشبه استمتاع الإنس بالإنس. اهـ[١]

وما قاله هنا مخالف لما قال السلف، وهو قياس فاسد فعله رحمه الله.

قال ابن كثير:

وقال ابن جريج: كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض، فيقول: "أعوذ بكبير هذا الوادي": فذلك استمتاعهم، فاعتذروا يوم القيامة.

وأما استمتاع الجن بالإنس فإنه كان -فيما ذكر -ما ينال الجن من الإنس من تعظيمهم إياهم في استعانتهم بهم، فيقولون: قد سدنا الإنس والجن. اهـ[٢]

وقال الثعلبي:

أي: انتفع وذلك كاستعاذتهم بالجنِّ إذ كان العربيُّ إذا نزل وادياً، ينادي: يا رَبَّ الوادِي، إنِّي أستجيرُ بك في هذه الليلة، ثم يرى سلامته إنما هي بحفْظِ جَنِّيِّ ذلك الوادِي، ونحو ذلك.اهـ[٣]

وقال الماوردي:

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٨١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٨).

(٣) تفسير الثعالبي (٢/ ٥١٦).

﴿وَقَالَ أَولِيَاؤُهُمْ مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: معناه استمتع بعضنا بصحبة بعض في التعاون والتعاضد.

والثاني: استمتع بعضنا ببعض فيما زينوه من اتباع الأهواء وارتكاب المعاصي. والثالث: أن الاستمتاع بهم ما كانوا عليه من التعوذ بهم كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ ، قال الحسن ، وابن جريج. ثم فيه وجهان: أحدهما: أنه استمتاع الإنس بالجن. والثاني: أنه استمتاع الإنس بعضهم ببعض. وفيه وجه ثالث: أن الإنس استمتعوا بالجن ، والجن استمتعوا بالإنس في اعتقادهم أنهم يقدرون على النفع.اهـ[1]

وعلى هذا جميع أهل التفسير، أما استنتاج ابن تيمية بالمناكحة انفرد به هو ولم يكن معه ثمة دليل فصار تفسيره للآية باطلا.

٥- جعل الله مثواهم جميعا النار لإضلال بعضهم البعض

٦- جعل الله كل ظالم وليا له من الظلمة بما فعلوا واختاروا طريق الظلم والضلال.

(١) تفسير الماوردي (٢/ ١٦٨).

قال قتادة: وإنما يولي الله بين الناس بأعمالهم، فالمؤمن ولي المؤمن من أين كان وحيث ما كان، والكافر ولي الكافر من أين كان وحيث ما كان، ليس الإيمان بالله بالتمني ولا بالتحلي.. (١)

أصبغ قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا﴾ قال: ظالمي الجن، وظالمي الإنس. (٢)

٧- بين الله سبحانه وتعالى أنه أقام الحجة على الإنس والجن بإرسال الرسل إليهم ليدعوهم إلى توحيد الله تعالى وطاعة رسل الله.

والرسل من الإنس وليس من الجن.

عن مجاهد: قوله: يا معشر الجن والإنس.

قال: ليس في الجن رسل، إنما الرسل في الإنس، والنذارة في الجن. (٣)

وقد قال الله تعالى على لسان الجن حين سمعوا القرآن: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

فهو دليل على أمرين:

الأول: أنهم كانوا تبعا لموسى في رسالته.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٨).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٩).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨٩).

الثاني: أن الشريعة في بني إسرائيل كانت شريعة موسى التي نزلت في التوراة.

من عبادات ومعاملات.

ثم أخبروا عن القرآن أنه كذلك، ولم يخبروا عن الإنجيل لأنه كتاب مواعظ وحكم وليس كتاب تشريع. والتشريع تبعا لما جاء في التوراة إلا قليل.

٨- أن الجن والإنس مأمورون بالإيمان باليوم الآخر والاستعداد له، وإنهم إن لم يؤمنوا بذلك فقد كفروا جميعا.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾[الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

وفي هذه الآيات:

١- أن الجن خلقوا كما خلقت الإنس، وأن خلق الجن كان قبل خلق الإنس كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧)﴾[الحجر: ٢٦، ٢٧].

٢- أن الجن مكلفون بعموم الرسالة كما كلفت الإنس.

٣- أن الغاية من خلق الجن والإنس هو التوحيد.

ثانيا: التواتر عن الأنبياء لا دليل عليه

قال شيخ الإسلام:

وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواترا معلوما بالاضطرار. انتهى كلامه. .[1]

ونقول:

هذا الكلام الذي ذكره لا دليل عليه، لأننا لا نعلم شيئا صحيحا من أخبار الأنبياء إلا بما ورد إلينا في الكتاب والسنة الصحيحة.

فآمنا بكل الأنبياء المذكور أسماؤهم في القرآن والسنة، ولم نؤمن بأي نبي آخر ذكر اسمه في كتاب غير القرآن ولا ورد في غير السنة من كتب اليهود والنصارى.

فقوله رحمه الله " تواترا معلوما بالاضطرار" هذه مجازفة منه من غير نص. ولو قصد ما جاء في القرآن والسنة فالكلام عبث.

ومن كان معترضا على كلامنا فليأت بنص على هذا التواتر.

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠).

ثالثا: الجن عقلاء لهم حرية وإرادة

قال شيخ الإسلام:

ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة بل مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة. اهـ[1]

ونقول:

هذا كلام صحيح وقد بينا ما ورد في كتاب الله تعالى قبل ذلك

وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠).

وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣)﴾[الجن: ١ - ١٣].

وأما من انحرف عن كتاب الله تعالى وكفر بالنبي ﷺ وبما جاء به فقد أنكر وجود الجان واعتبرها أعراضا وصفاتٍ يتصف بها الإنسان.

رابعا: الكلام في التواتر بما لا دليل عليه ولا ضابط له

وقال شيخ الإسلام:

ونحو ذلك مما تواترت به الأخبار عن الأنبياء تواترا تعرفه العامة والخاصة كما تواتر عند العامة والخاصة مجيء موسى إلى فرعون وغرق فرعون ومجيء المسيح إلى اليهود وعداوتهم له وظهور محمد ﷺبمكة وهجرته إلى المدينة ومجيئه بالقرآن والشرائع الظاهرة وجنس الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه كتكثير الطعام والشراب والإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة التي لا يعلمها بشر إلا بإعلام الله وغير ذلك. اهـ[1]

ونقول:

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠)

١- قضية التواتر عند العامة والخاصة شيء لا علاقة له بالأحكام الشرعية، ولا نقول كما قالت المعتزلة والأشاعرة أن نأخذ بالتواتر في الاعتقاد ولا نأخذ بالآحاد!

ولا يوجد تواتر عند العامة أو الخاصة كل هذا لا قيمة له، إنما الأصل هو الكتاب وما صح عن ﷺرسول الله.

وقد جاء في القرآن وصحت به السنة ما ذكره من أنبياء، وكذلك قصة فرعون وغيره من أهل الكفر أمثال هامان وقارون.

فلا داعي للتطويل في الاستدلال بما يخرج عن ضوابطه.

٢- ما ورد من معجزات للنبيﷺ وكرامات جاء بها القرآن مثل انشقاق القمر والقرآن ذاته، ومثل تكثير الطعام بين يديه ونبع الماء ونحو ذلك. كل ذلك ثبت بالقرآن أو السنة ولا يحتاج إلى تواتر وغيره.

٣- مسألة التواتر لا ضابط لها فالاحتجاج بما لا ضابط له باطل.

الفصل الثاني

علاقة الجن بالإنس

ذكرنا في الفصل السابق بعض علاقة الجن بالإنس من خلال اتباع بعضهم بعضا وإضلال بعضهم بعضا، واتخاذ بعضهم بعضا أولياء هذا بالنسبة لأهل الكفر والإلحاد.

أولا: التفرقة بين الشيطان والجن

وهذا موضوع في غاية الأهمية؛ لأن الخلط فيه يؤدي إلى مفاسد كبيرة وهو ما أوقع كثير من المسلمين في الدجل والشعوذة.

الجن كما ذكرنا عالم غيبي قد خلقه الله تعالى من مارج من نار كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[الرحمن: ١٥].

أما الشيطان أو إبليس فهو من الجن غير أنه عتا وتجبر وطغى وصارت له ذرية.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[الكهف: ٥٠].

ثانيا: مسألة صرع الشيطان للإنسان

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

ولهذا أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع ولم ينكروا وجود الجن إذ لم يكن ظهور هذا في المنقول عن الرسول كظهور هذا وإن كانوا مخطئين في ذلك.

ولهذا ذكر الأشعري في مقالات أهل السنة والجماعة أنهم يقولون: إن الجني يدخل في بدن المصروع كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[البقرة: ٢٧٥]، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن قوما يزعمون أن الجني لا يدخل في بدن الإنسي. فقال: يا بني يكذبون هو ذا يتكلم على لسانه. اهـ[1]

ولنا مع كلام شيخ الإسلام وقفات:

الوقفة الأولى: الخلط بين الجن والشيطان

فإن من أنكر صرع الشيطان للإنسان أنكره لعدم الدليل في نظرهم من القرآن أو السنة على ذلك.

(١) مجموع الفتاوى (الباز المعدلة) (١٩/ ١٢).

ولكن أهل السنة استدلوا بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾[البقرة: ٢٧٥].

وهذه الآية التي استدل بها شيخ الإسلام، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ ولم يقل الجن وفرق بين الجن والشيطان كما ذكرنا.

فالشيطان كافر بإطلاق، وأما الجن فمنهم المؤمن ومنهم الكافر.

وليس كل كافر يؤذي الإنسان، وإنما كل شيطان يؤذي الإنسان.

وإذا كان شيخ الإسلام يتكلم على عدم الظلم للجن فهنا قد جار عليهم حيث عمم مسألة الدخول للجن وليس للشيطان.

الوقفة الثانية: أبو الحسن الأشعري المولود سنة ٢٦٠هـ والمتوفى سنة ٣٢٤هـ قال:

واختلف الناس في الجن هل يدخلون في الناس على مقالتين:

فقال قائلون: محال أن يدخل الجن في الناس.

وقال قائلون: يجوز أن يدخل الجن في الناس لأن أجسام الجن أجسام رقيقة فليس بمستنكر أن يدخلوا في جوف الإنسان من خروقه، كما يدخل الماء والطعام في بطن الإنسان وهو أكثف من أجسام الجن وقد

يكون الجنين في بطن أمه وهو أكثف جسماً من الشيطان وليس بمستنكر أن يدخل الشيطان إلى جوف الإنسان. اهـ[1]

وما ذكره أبو الحسن الأشعري تأثر به ابن تيمية في الخلط بين الجن والشيطان في قضية الصرع.

قال ابن جرير الطبري المولود سنة ٢٢٤هـ والمتوفى سنة ٣١٠هـ في تفسيره:

فقال جل ثناؤه: الذين يُرْبون الربا الذي وصفنا صفته في الدنيا ﴿لا يقومون﴾ في الآخرة من قبورهم ﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾، يعني بذلك: يتخبَّله الشيطان في الدنيا، وهو الذي يخنقه فيصرعه ﴿ مِنَ الْمَسِّ﴾، يعني: من الجنون.

ثم ذكر ذلك صراحة بأسانيد منها:

– حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾. الآية، قال: يبعث آكل الربا يوم القيامة مَجْنونًا يُخنق.[2]

---

(١) مقالات الإسلاميين (ص: ٤٣٤).

(٢) ضعيف: جعفر وهو جعفر بن أبي المغيرة القمي قال عنه الذهبي في الميزان (١٤٨/٢) قال ابن منده ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير.

– حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ قال: هو التخبُّل الذي يتخبَّله الشيطان من الجنون. (١)

– حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، قال: يبعثون يوم القيامة وبهم خَبَل من الشيطان. وهي في بعض القراءة:﴿لا يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

– حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾، قال: من مات وهو يأكل الربا، بعث يوم القيامة متخبِّطًا، كالذي يتخبطه الشيطان من المسّ. (٢)

وقال عنه الحافظ في التقريب: صدوق يهم.

وجرير هو بن عبد الحميد الضبي قال عنه الذهبي في الميزان: (١١٩/٢) عالم أهل الري صدوق يحتج به في الكتب.

قال أحمد بن حنبل: لم يكن بالذكي في الحديث اختلط عليه أشعث وعاصم الأحول حتى قدم عليه بهز فعرفه.

وقال عنه الحافظ في التقريب: ثقة صحيح الكتاب.

(١) سنده صحيح.

(٢) سنده ضعيف لضعف جويبر قال الذهبي في المغني في الضعفاء: (١٣٨/١) جويبر بن سعيد بن البلخي المفسر: قال الدارقطني: وغيره متروك.

– حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، يعني: من الجنون.(١)

– حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾. قال: هذا مثلهم يومَ القيامة، لا يقومون يوم القيامة مع الناس، إلا كما يقوم الذي يُخنق من الناس، كأنه خُنق، كأنه مجنون.

قال أبو جعفر: ومعنى قوله:﴿يتخبطه الشيطانُ من المسّ﴾، يتخبله من مَسِّه إياه. يقال منه: "قد مُسّ الرجل وأُلِقِ، فهو مَمسوس ومَألوق"، كل ذلك إذا أُلمّ به اللَّمَمُ فجُنّ. ومنه قول الله عز وجلّ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾[الأعراف: ٢٠١].

ومنه قول الأعشى:

وَتُصْبِحُ عَنْ غِبِّ السُّرَى، وكأَنَّمَا... أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الجِنِّ أَوْلَقُ.(٢)

(١) ضعيف: أسباط قال عنه ابن الجوزي في الضعفاء (٩٦/١): أسباط بن نصر أبو يوسف الهمداني يروي عن السدي وسماك ضعفه أبو نعيم وقال أحاديثه عامته سقط مقلوبة الأسانيد وسئل عنه أحمد فقال لا أدري وكأنه ضعفه.

(٢) تفسير الطبري – (ج ٦ / ٨ . ١١).

فهذا ابن جرير وهو أقدم من أبي الحسن الأشعري وأوثق منه نقلا وعقيدة لم يذكر مسألة الدخول عن أحد من السلف، وإنما ذكر الخبل والجنون نتيجة المس فقط. فكان يجب على شيخ الإسلام أن يتبع أقوال السلف في ذلك لا ما ذكره أبو الحسن الأشعري وقد خلط بين الجن والشيطان.

الوقفة الثالثة: أبو الحسن الأشعري تكلم عن الدخول ولم يتكلم عن الصرع

وعندما تكلم عن الصرع لم يتكلم عن الدخول

قال رحمه الله: واختلفوا هل المصروع يرى الشيطان أم لا على ثلاثة أقاويل:

فقال قائلون: الجن لا يخبطون الناس ولا يستهلكونهم وإنما ذلك من جهة اختلاط الطبائع وغلبة بعض الأخلاط من المرة أو البلغم.

وقال قائلون: الشيطان يخبط الإنسان ويستهلكه ويراه الإنسان وما يسمع منه فهو كلام الشيطان.

وقال قائلون: بل يخبط الإنسان ويصرعه ويوسوسه ولا يراه الإنسان وليس الكلام المسموع في وقت الصرع والاختباط كلام الشيطان.اهـ[1]

(١) مقالات الإسلاميين ت ريتر (ص: ٤٣٥)

فتبين أن شيخ الإسلام خلط بين الجن والشيطان من ناحية، وبين دخول الشيطان ومسه من ناحية أخرى.

وهذا فرق مهم جدا لمن تدبره نجى من مزالق كثيرة.

ونلاحظ أن كلام أبي الحسن الأشعري في ذكر الخلاف على ثلاثة أصناف:

الأول: نفي تخبيط الجن للناس.

الصنف الثاني: أثبت تخبط الشيطان وأن الإنسان يراه وما يتكلم به فهو كلام الشيطان.

والصنف الثالث: يخبط الإنسان ويصرعه ولا يراه الإنسان ولا يتكلم على لسانه.

وقد جعل شيخ الإسلام ابن تيمية عقيدة أهل السنة هي الصنف الثاني، وهذا باطل.

بل كلام الصنف الثالث هو الحق وهو الذي تؤيده ظواهر الأدلة من القرآن وكلام السلف.

فقد قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ

وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿يتخبطه الشيطانُ من المسّ﴾. وهذا ما عليه الصحابة والتابعين ولم يرد عنهم غير ذلك. كما بينا.

الوقفة الرابعة: ما هو سبب تعميم شيخ الإسلام الصرع للجن؟

سبب ذلك الخلاف الواقع في كون إبليس من الجن أم من الملائكة وهل هو أصل الجن أو هو من جنسهم. وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[الكهف: ٥٠].

اختلف العلماء على قولين:

القول الأول: أن الشيطان من الجن

وهؤلاء على قولين:

الأول: أنه من جنس الجن

الثاني: أنه أبو الجن.

القول الثاني: أنه من الملائكة.

وهؤلاء على قولين:

الأول: أنه من صنف من الملائكة خلقوا من نار

الثاني: أنه من جنس الملائكة، ملَكٌ من الملائكة، وأنه طاووس الملائكة، وأنه كان من أكثر الملائكة اجتهاداً في العبادة.

وأقوال أخرى.

قال ابن كثير:

قال الحسن البصري: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم، عليه السلام، أصل البشر. رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه

وقال الضحاك، عن ابن عباس: كان إبليس من حي من أحياء الملائكة، يقال لهم: الجن، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة –قال: وكان اسمه الحارث، وكان خازنا من خزان الجنة، وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحي–قال: وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار. وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت.

وقال الضحاك أيضا، عن ابن عباس: كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة، وكان خازنا على الجنان، وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض، وكان مما سولت له نفسه، من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله. فاستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره

بالسجود لآدم "فاستكبر، وكان من الكافرين. قال ابن عباس: وقوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ أي: من خزان الجنان، كما يقال للرجل: مكي، ومدني، وبصري، وكوفي. وقال ابن جريج، عن ابن عباس، نحو ذلك.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: هو من خزان الجنة، وكان يدبر أمر السماء الدنيا، رواه ابن جرير من حديث الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد، به.

وقال سعيد بن المسيب: كان رئيس ملائكة سماء الدنيا.

وقال ابن إسحاق، عن خلاد بن عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس قال: كان إبليس – قبل أن يركب المعصية–من الملائكة، اسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض. وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما. فذلك دعاه إلى الكبر، وكان من حي يسمون جنا.

وقال ابن جريج، عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبي نمر، أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس قال: إن من الملائكة قبيلة من الجن، وكان إبليس منها، وكان يسوس ما بين السماء والأرض. فعصى، فسخط الله عليه، فمسخه شيطانا رجيما –لعنه الله–ممسوخا، قال: وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجه، وإذا كانت في معصية فارجه.

وعن سعيد بن جبير أنه قال: كان من الجنانين، الذين يعملون في الجنة.

وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها.

ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء، والسادة الأتقياء والأبرار والنجباء من الجهابذة النقاد، والحفاظ الجياد، الذين دونوا الحديث وحرروه، وبينوا صحيحه من حسنه، من ضعيفه، من منكره وموضوعه، ومتروكه ومكذوبه، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي، خاتم الرسل، وسيد البشر عليه أفضل التحيات والصلوات والتسليمات، أن ينسب إليه كذب، أو يحدث عنه بما ليس منه، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل. اهـ[1]

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٦٧).

والصواب من ذلك قول من قال أن الشيطان من جنس الجن على ظاهر الآية، ولا يلجأ إلى صرف الظاهر إلا بدليل، ولا دليل.

وشيخ الإسلام يرجح كون إبليس أبو الجن

فقال:

ومذهب المسلمين واليهود والنصارى: ما أخبر الله به في القرآن ولم يكن في المأمورين بالسجود أحد من الشياطين؛ لكن أبوهم إبليس هو كان مأمورا فامتنع وعصى وجعله بعض الناس من الملائكة لدخوله في الأمر بالسجود وبعضهم من الجن لأن له قبيلا وذرية ولكونه خلق من نار والملائكة خلقوا من نور.

والتحقيق: أنه كان منهم باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله ولم يخرج من السجود لآدم أحد من الملائكة: لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا غيرهما.اهـ[1]

ولذلك عندما يتكلم عن دخول الجن لجسد بني آدم ويصرعه يتكلم من هذا القبيل.

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٦).

وهذا خلط واضح، فإذا كان إبليس أبو الجن كما يقول، فإنه عتا وتمرد وخرج عن وضعهم وصارت له وضعية خاصة وقوة خاصة، يفعلها مع الجن والإنس معا في الوسوسة والغواية.

ولذلك الله تبارك وتعالى قال: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[البقرة: ٢٧٥].

ولم يقل "كالذي يتخبطه الجن من المس" وهناك فرق واضح لمن نظر بطرق صحيحة.

الوقفة الخامسة: ما نقل عن الإمام أحمد رحمه الله باطل:

من ناحيتين:

الأولى: عدم ثبوت هذا النقل عن الإمام أحمد بسند صحيح، ولم ينقله غير ابن تيمية، فلا ندري من أين نقله وما سنده الصحيح.

الثاني: لو فرض صحة نقله عن الإمام أحمد فإن كلامه يحتاج إلى دليل.

كما قال رحمه الله:

قد ثبت بالكتاب، والسنة، والإجماع أن الله سبحانه وتعالى فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به وينهى عنه، إلا رسول الله ﷺ حتى كان صديق

الأمة وأفضلها بعد نبيها يقول: أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم.

واتفقوا كلهم على أنه ليس أحد معصوما في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله ﷺ؛ ولهذا قال غير واحد من الأئمة: كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ.اهـ[1]

وقال رحمه الله:

فأما إن المسلمين يثبتون عقيدتهم في أصول الدين بقوله أو بقول غيره من العلماء: فهذا لا يقوله إلا جاهل. و" أحمد بن حنبل" نهى عن تقليده وتقليد غيره من العلماء في الفروع.

وقال: لا تقلد دينك الرجال فإنهم لن يسلموا أن يغلطوا.

وقال: لا تقلدني ولا مالكا ولا الثوري ولا الشافعي؛ وقد جرى في ذلك على سنن غيره من الأئمة؛ فكلهم نهوا عن تقليدهم كما نهى الشافعي عن تقليده وتقليد غيره من العلماء فكيف يقلد أحمد وغيره في أصول الدين؟

وأصحاب أحمد: مثل أبي داود السجستاني وإبراهيم الحربي وعثمان بن سعيد الدارمي وأبي زرعة وأبي حاتم والبخاري ومسلم وبقي بن مخلد

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ١٢٣).

وأبي بكر الأثرم وابنيه صالح وعبد الله وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ومحمد بن مسلم بن وارة وغير هؤلاء الذين هم من أكابر أهل العلم والفقه والدين.

لا يقبلون كلام أحمد ولا غيره إلا بحجة يبينها لهم وقد سمعوا العلم كما سمعه هو وشاركوه في كثير من شيوخه ومن لم يلحقوه أخذوا عن أصحابه الذين هم نظراؤه وهذه الأمور يعرفها من يعرف أحوال الإسلام وعلمائه. اهـ[1]

وهذا كلام في منتهى الروعة والبراعة، ونحن نقول به ولأجل ذلك ما نقله عن الإمام أحمد يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة بفهم السلف. وحيث أنه لا دليل فلا يجوز الأخذ به.

وهكذا كلام كل عالم أو إمام لا يجب أخذه مأخذ التسليم حتى يتبين موافقته للكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

الوقفة السادسة حكاية دخول الجن في الإنسان

كما ذكرنا سابقا الخلط الذي وقع فيه شيخ الإسلام ابن تيمية بين دخول الشيطان وبين دخول الجان.

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٢١٥).

١- لا يوجد دليل واحد لا من الكتاب ولا من السنة ولا من كلام السلف على دخول الجان بدن الإنسان أو صرعه.

٢- دخول الشيطان للإنسان ورد في السنة في عدة مواضع

منها ما رواه مسلم(٧٦٨٥) عَنِ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ ».[١]

وأخرجه البخاري (٣٠٤٦) عن ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «التَّثَاؤُبُ مِنْ الشَّيْطَانِ فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ هَا ضَحِكَ الشَّيْطَانُ»[٢]

---

(١) هذه الرواية رواها عن ابن أبي سعيد سهيل بن أبي صالح ورواها عنه مَعمَر بن راشد، وسفيان الثوري، ووهيب بن خالد، وعبد العزيز بن محمد، وخالد بن عبد الله، وسليمان بن بلال، وزهير بن معاوية، وعيسى بن يونس ويحيى بن سعيد وبشر بن المفضل وجرير بن حازم وكلهم ثقات أئمة.

ورواها عنه معمر بلفظ "يدخل مع التثاؤب" وزيادة "مع التثاؤب" شاذة

ورواها سفيان بن عيينة عن سهيل بلفظ "يدخل فيه" بزيادة "فيه" وهذه لفظة شاذة أيضا.

فثبت صحة الرواية الأولى، وهي الوقوف عند "فإن الشيطان يدخل"

(٢) ورواه عن محمد بن عبد الرَّحمَن بن أبي ذئب: يحيى بن سعيد القطان، وحجاج بن محمد، وعاصم بن علي، وآدم بن أبي إياس، ويزيد بن هارون، وأبو داود الطيالسي، سليمان بن داود. به.

ورواه عن أبي سعيد محمد بن عجلان بلفظ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ، فَقَالَ: هَاهْ، فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْطَانٌ يَضْحَكُ مِنْ جَوْفِهِ » فلفظ "من جوفه" شاذة منكرة.

وانظر تفاصيل التخريج للحديثين المسند المصنف المعلل (٣٣/ ٢٦٦) فما بعده.

والشاهد من هذا الحديث كلمة "يدخل" أي يدخل في فمه على ظاهره وليس يدخل في جوفه، وذلك تفسيرا ليضحك عليه الشيطان في فتح فمه وإخراج صوت منه.

ومنها:

روى البخاري(٦٢١٩) عَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ، أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي المَسْجِدِ، فِي العَشْرِ الغَوَابِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً مِنَ العِشَاءِ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ مَعَهَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ المَسْجِدِ، الَّذِي عِنْدَ مَسْكَنِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، مَرَّ بِهِمَا رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَفَذَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» قَالاَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا مَا قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا»

الشاهد في الحديث: «يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ»: فقال بعض أهل العلم: هو على ظاهره، وأن الله سبحانه وتعالى جعل للشيطان قدرة على أن ينفذ في بدن الإنسان حتى مجاري الدم.

والبعض الآخر قال: صرف اللفظ عن ظاهره بأنه يراد به شدة الوسوسة التي تسري في قلب الإنسان فيؤدي إلى فوران الدم فيجري في كل الجسد.

ودليل الصرف هو سياق القصة: حيث أن النبي ﷺ خشي أن يظنا ظن سوء، وهذا الظن بسبب وساوس الشيطان.

وكلا القولين فيه احتمال، ولا عيب على من أخذ بأي منهما إذا ترجح لديه بأدلة وقرائن.

قال النووي:

قال القاضي وغيره قيل هو على ظاهره وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان مجاري دمه.

وقيل هو على الاستعارة لكثرة اغوائه ووسوسته فكانه لا يفارق الانسان كما لا يفارقه دمه.

وقيل يلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل الوسوسة إلى القلب والله أعلم. اهـ[1]

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٥٧).

وقال ابن حجر:

والمحصل من هذه الروايات أن النبي ﷺ لم ينسبهما إلى أنهما يظنان به سوءا لما تقرر عنده من صدق إيمانهما ولكن خشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ذلك لأنهما غير معصومين فقد يفضي بهما ذلك إلى الهلاك فبادر إلى إعلامهما حسما للمادة وتعليما لمن بعدهما إذا وقع له مثل ذلك كما قاله الشافعي رحمه الله تعالى فقد روى الحاكم أن الشافعي كان في مجلس بن عيينة فسأله عن هذا الحديث فقال الشافعي إنما قال لهما ذلك لأنه خاف عليهما الكفر إن ظنا به التهمة فبادر إلى إعلامهما نصيحة لهما قبل أن يقذف الشيطان في نفوسهما شيئا يهلكان به قلت وهو بين من الطرق التي أسلفتها. اهـ[1]

وقال أيضا:

وقوله يبلغ أو يجري قيل هو على ظاهره وأن الله تعالى أقدره على ذلك وقيل هو على سبيل الاستعارة من كثرة إغوائه وكأنه لا يفارق كالدم فاشتركا في شدة الاتصال وعدم المفارقة. اهـ[2]

وفي هذا دليل على أن أهل العلم لم ينكروا على من قال بعدم دخول الشيطان مجرى الدم، ولا على من قال يدخل ويجري فيها.

(١) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٨٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٨٠).

فالأول: هو حقيقة الشيطان ووسوسته من غير سلطان على الإنسان. من غير إنكار أن يجري على الحقيقة لأن ذلك قدرة الله تعالى

والثاني: وهو جريانه على الحقيقة وبكيفية لا نعلمها، هي قدرة الله تعالى.

لكن هناك طائفة أنكرت الحديث لإنكارها الشيطان والجن على الحقيقة وأنكرت تشكلهما في عصر النبوة وأن هذه عبارة عن أوهام فكان رد الإمام ابن قتيبة الدينوري رحمه الله عليهم بقوله:

ونحن نقول إن إنكارهم لهذا الحديث إن كان من أجل أنهم لا يؤمنون بخلق الشياطين والجن وبأن الله تعالى جعل في تركيبها أن تتحول من حال إلى حال فتتمثل مرة في صورة شيخ، ومرة في صورة شاب، ومرة في مثال نار، ومرة في مثال كلب، ومرة في مثال جان، ومرة تصل إلى السماء، ومرة تصل إلى القلب، ومرة تجري مجرى الدم، فهؤلاء مكذبون بالقرآن وبما تواطأت عليه الأخبار عن رسول الله ﷺ والأنبياء المتقدمين وكتب الله تعالى المتقدمة والأمم الخالية؛ لأن الله تعالى قد أخبرنا في كتابه أن الشياطين يقعدون من السماء مقاعد للسمع، وأنهم يرمون بالنجوم وأخبرنا الله تعالى عن الشيطان أنه قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾[النساء:

١١٩]، وهو لا يظهر لنا؛ فكيف يأمرنا بهذه الأشياء لولا أنه يصل إلى القلوب بالسلطان الذي جعله الله تعالى له فيوسوس بذلك، ويزين ويمني كما قال الله جل وعز، وكما روي في الحديث أنه رئي مرة في صورة شيخ نجدي، ومرة في صورة ضفدع، ومرة في صورة جان، وقد سمى الله تعالى الجن رجالا كما سمانا رجالا، فقال تعالى ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾[الجن: ٦]، وقال في الحور العين: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾[الرحمن: ٥٦] فدل ذلك على أن الجن تطمث كما يطمث الإنس والطمث الوطء بالتدمية.

قال أبو محمد: ونحن لم نرد في هذا الكتاب أن نرد على الزنادقة ولا المكذبين بآيات الله عز وجل ورسله وإنما كان غرضنا الرد على من ادعى على الحديث التناقض والاختلاف واستحالة المعنى من المنتسبين إلى المسلمين. اهـ(١)

وما ذكره ابن قتيبة في التشكل إنما كان في عهد النبوة وأكثر الآثار التي ذكرها ضعيفة وواهية. أما بعد النبيﷺ فلم يثبت تشكل الجن أو الشيطان، وفي القول به مصيبة كبرى.

(١) تأويل مختلف الحديث (ص: ١٢٣).

وبعد أن ذكرنا كلام أهل العلم في الحديث باختلافهم في مدلول الحديث وسواء دل الحديث على جريان الشيطان من مجاري الدم، أو دل على الوسوسة. فإنه لا علاقة له بموضوع الصرع، لأن الأمر عام في كل بني آدم في حين أن مسألة الصرع مسألة خاصة.

قال شيخ الإسلام:

والشيطان يوسوس لبني آدم في أمور كثيرة من المباحات كالتخلي والنكاح وغير ذلك وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم فلا يمكن حفظ جيمع بني آدم من كل ما للشيطان فيه نصيب. اهـ[1]

وقال أيضا:

وأبلغ من ذلك أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وهو يوسوس له بما يهواه فيعلم ما تهواه نفسه. اهـ[2]

فهنا فسر الجريان بمعنى الوسوسة على أحد القولين.

وقال: فترك الإنسان ما يشتهيه لله هو عبادة مقصودة يثاب عليها كما يثاب المحرم على ترك ما اعتاده من اللباس والطيب ونحو ذلك من نعيم البدن والجماع من أعظم نعيم البدن وسرور النفس وانبساطها هو

(١) الاستقامة (١/ ٢٨٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٣٦).

يحرك الشهوة والدم والبدن أكثر من الأكل فإذا كان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

والغذاء يبسط الدم الذي هو مجاريه فإذا أكل أو شرب انبسطت نفسه إلى الشهوات وضعفت إرادتها ومحبتها للعبادات. اهـ[1]

فهنا يفسره على ظاهره وهو جريانه من محرى الدم. ولكن لا علاقة له بالصرع والتخبط.

ثالثا: كلام شيخ الإسلام في دخول الجن في بدن الإنس.

قال شيخ الإسلام:

وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[البقرة: ٢٧٥]. وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجرى الدَّمِ».

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قلت لأبي: إن أقواما يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع فقال: يا بني يكذبون هذا يتكلم على لسانه. اهـ[2]

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٤٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٦).

وقال أيضا: وكذلك للجن تأثير في ذلك كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجرى الدَّمِ» وفي الدم الذي هو البخار الذي تسميه الأطباء الروح الحيواني المنبعث من القلب الساري في البدن الذي به حياة البدن. اهـ[1]

ولنا مع كلام شيخ الإسلام وقفات

الوقفة الأولى: حكاية الاتفاق لا دليل عليه.

من المعلوم أن الإجماع المقبول يشترط فيه ثلاثة شروط:

الأول: أن يكون مستندا إلى دليل الكتاب أو من صحيح السنة.

الثانية: أن يكون منقولا جيل بعد جيل.

الثالثة: ان لا يكون هناك مخالف له.

ومعلوم أن شيخ الإسلام يأخذ باتفاق الصحابة فقط

فقد قال: الإجماع وهو متفق عليه بين عامة المسلمين من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث والكلام وغيرهم في الجملة وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة لكن المعلوم منه هو ما كان عليه الصحابة، وأما ما بعد ذلك فتعذر العلم به غالبا ولهذا اختلف أهل العلم فيما يذكر من الإجماعات الحادثة بعد الصحابة واختلف في مسائل منه

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٢).

كإجماع التابعين على أحد قولي الصحابة والإجماع الذي لم ينقرض عصر أهله حتى خالفهم بعضهم والإجماع السكوتي وغير ذلك. اهـ[1]

ومن خلال كلامه هنا نعرف أنه لم ينقل كلام " وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة"

ولا واحد من العلماء السابقين، فتبين أن هذا إجماع باطل، وليس كل من ادعى الإجماع يؤخذ بقوله.

الوقفة الثانية: لم يذكر أحد من الصحابة أو التابعين دخول الجن بدن الإنسان مطلقا.

وهذا بين واضح لمن تتبع كلام أهل العلم في هذا الشأن.

ومن المؤسف أن كثيرا من الكتاب والعلماء قد أخذوا كلام شيخ الاسلام في هذا الاتفاق موضع التصديق وكأنه وحي منزل وهذا خطأ.

بالرغم أن في أصولهم لا يستدلون بالإجماع بمجرد ذكره في بعض الكتاب أو على لسان أحد أهل العلم، ولكن أحيانا من فرط الثقة في عالم أو إمام نصدق ما يقوله دون بحث.

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٤١).

الوقفة الثالثة: استدلاله بالآية وكلام الإمام أحمد خطأ

فالآية ذكرنا كلام أهل العلم فيها ولم يذكر واحد من السلف على أنها تدل على دخول الشيطان بدن المصروع فضلا عن دخول عامة الجن.

وما نقله عن الإمام أحد لا سند له، ولم ينقله غيره فبطل الكلام.

ولو فرض صحته فكلام الإمام أحمد يحتاج إلى دليل ولا دليل.

وبذلك تم هدم ما استدل النقلة بغير علم أو بتقليد ما ذكره ابن تيمية هنا.

الفصل الثالث

الصرع والرقية في ميزان السلف.

صرع الشيطان للإنسان أخذ حيزا كبيرا في الثقافة الإسلامية بعد أن كتب فيه شيخ الإسلام ابن تيمية وتأثر به من تأثر وتوسع المعاصرون في ذلك توسعا يخدم أهل البدع والسحرة والمشعوذين.

أولا: مسألة الصرع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وهذا الذي قاله (أي الامام أحمد) أمر مشهور فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه ويضرب على بدنه ضربا عظيما لو ضرب به جمل لأثر به أثرا عظيما.

والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ولا بالكلام الذي يقوله وقد يجر المصروع وغير المصروع ويجر البساط الذي يجلس عليه ويحول آلات وينقل من مكان إلى مكان ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علما ضروريا بأن الناطق على لسان الإنسي والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان.

وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك. اهـ[1]

ولنا مع هذا الكلام وقفات

الوقفة الأولى: اعتماده على كلام الإمام أحمد

وهي القضية الأساسية التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، وليس من عادته أن يذكر مسألة كهذه ولا يسرد فيها الأدلة من الكتاب والسنة سردا ومن أقوال الصحابة والتابعين وكلام الأئمة.

وإنما فقط اكتفى بما يعتقده من موروث ورثه في بيئته حيث الدجل والشعوذة منتشرا، فظن أن هذا حق وأتى بقول للإمام أحمد لا مستند له من ناحية، ولا دليل عليه من ناحية أخرى.

الوقفة الثانية: قوله" أمر مشهور فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه"

١- هذا كلام باطل، ولا يوجد نص لا من الكتاب ولا من السنة على ما يقوله؛ فضلا أن يكون مشهورا.

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٧).

٢- الأصل أن المشهور يكون من حديث النبيﷺ، ثم ما ورد عن الصحابة ومن تبعهم.

وهذا لا يوجد إطلاقا ولا ينقل عن واحد منهم مسألة الكلام على لسان المصروع.

٣- ولكن أخذ بالمشهور في عصره وما نقله عن بعض أهل البدع فصار عنده مشهورا عند أهل السنة؛ وهذا كلام لا خطام له ولا زمام.

٤- كلام الشيطان على لسان الإنسان إذا كان دينا وعقيدة فلابد وأن يكون بنص من القرآن والسنة.

ولا يوجد نص لا من القرآن ولا من صحيح السنة أن المصروع يتكلم بكلام غير مفهوم، فصار كونه عقيدة باطل.

٥- قد يقول كثير من المفتونين بهذا الأمر: ومن الذي يتكلم على لسان المصروع؟

نقول له:

هنا أمران: الأول تمثيل من مدعي المرض والصرع لأجل تحقيق أغراض معينة. وهذا مشاهد عيانا لكل ذي عقل يفهم في موضوع الشيطان والصرع.

الأمر الثاني: إذا لم يكن تمثيلا متعمدا، فهو وهم وقع فيه الإنسان نتيجة مشاكل معينة مرت به في حياته، وأوهمه من حوله ممن يعتقدون هذه العقيدة الفاسدة.

وهذه أمراض نفسية يصاب بها الناس لم يكن يعرفها شيخ الإسلام ولا كانت مكتشفة في عصره. ولذلك ظن أن هذا من الجن وفق ما خمنها الناس. وهذا ما اكتشفه الطب الحديث.

٦- الشيطان ومسه كان موجودا في عصر النبي ﷺ وقبل عصره.

الوقفة الثالثة: ضرب المصروع لم يثبت

١- قال" والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ولا بالكلام الذي يقوله ويضرب على بدنه ضربا عظيما لو ضرب به جمل لأثر به أثرا عظيما "

٢- وهذا الكلام لا دليل عليه لا من الكتاب ولا من السنة، ولم يثبت عن أحد من الصحابة أن ضرب مصروعا.

٣- والنبي ﷺ لم يثبت أن ضرب مصروعا أو أمر بضربه. وكل هذا موروث باطل اخترعه أهل البدع والضلال ولبس على شيخ الإسلام.

٤- ثم إن الضرب الذي يقع على جسد المصروع لا شك أنه يتأثر به تأثرا عظيما بعدما يفيق وربما يؤدي إلى وفاته كما حدث في وقائع كثيرة فعلها الناس.

ونجد شيخ الإسلام يقرر موضوع الضرب وكأنه متفق عليه وجاء في الكتاب والسنة، وهذا باطل

فيقول رحمه الله:

ولهذا قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجن عنه إلى الضرب فيضرب ضربا كثيرا جدا والضرب؛ إنما يقع على الجني ولا يحس به المصروع حتى يفيق المصروع ويخبر أنه لم يحس بشيء من ذلك ولا يؤثر في بدنه، ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة أو أربعمائة ضربة وأكثر وأقل بحيث لو كان على الإنسي لقتله وإنما هو على الجني والجني يصيح ويصرخ ويحدث الحاضرين بأمور متعددة كما قد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين.اهـ[1]

ونقول:

من الذي قال أن المصروع يحتاج إلى الضرب؟

ومن الذي قال أن الضرب يقع على الجني وليس على المصروع؟

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٠).

أين الدليل من الكتاب أو السنة أو كلام الصحابة؟

وعندما يضرب شخصا أكثر من أربعمائة عصا فهذا يعتبر جنون وخروج عن الشرع.

فإن الزاني يجلد مائة جلدة ضربا خفيفا لا يدمي المجلود، فهل يضرب الرجل المريض هذا العدد الذي فاق عدد عقوبة الزنا؟

سبحانك ربي، شيء اخترعه أو قال به ابن تيمية ولم يستند فيه لدليل لا صحيح ولا ضعيف. فكيف يجعله شرعا متبعا.

فعلم أن ما يقوله وما فعله فإنما هو خارج عن الشرع وهو طريق إلى البدعة والضلالة، وإن كان عن اجتهاد منه رحمه الله.

وقد يتفاجأ بعض المتعصبة عندما نقول أن هذا بدعة وضلالة! لأن شيخ الإسلام عندهم ينزه عن الخطأ والوقوع في البدعة والضلالة. وهذا انحراف عن دين الله تعالى.

الوقفة الرابعة: ترتب العلم على ترتب الأثر

قال" والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ولا بالكلام الذي يقوله وقد يجر المصروع وغير المصروع ويجر البساط الذي يجلس عليه ويحول آلات وينقل من مكان إلى مكان ويجري غير ذلك من الأمور من

شاهدها أفادته علما ضروريا بأن الناطق على لسان الإنسي والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان".

١- كل هذا الكلام مجرد تخمينات واستنتاجات عقلية لا أصل لها في الشرع.

٢- فكل ما يتعلق بأمور الغيب لابد من دليل من الكتاب والسنة، وليس من تجارب الناس وأوهامهم.

٣- وحيث أنه لا دليل على ما قال شيخ الإسلام فلا يجوز اعتقاد ما قاله، لأنه ضلالة.

٤- ما قاله ترسيخ لهواجس الدجل والشعوذة في قلوب المقلد من الناس وإن كان لا يقصد ذلك.

الوقفة الخامسة: كلام حق ولكن يراد به باطل

قال شيخ الإسلام: " وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك".

١- فكما ذكرنا أنه لا يوجد دليل على دخول الجن بدن الإنسان، سواء كان مصروعا أو غير مصروعا، والخلاف في دخول الشيطان.

٢- قوله: " ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع".

وهذا كلام باطل لا دليل عليه، ومجازفة منه في الحكم على من أنكر شيئا لم يرد في الشرع بأنه مكذب بالشرع وفق فهمه من دون أي قول من أحد من الصحابة أو التابعين أو تابعيهم.

وإنما ما قاله مجرد وهم وقع فيه رحمه الله.

٣- دخول الشيطان في مجاري دم الإنسان على قول من قال ذلك فلا علاقة له بالمصروع من قريب أو بعيد، وإنما وضع دليل في غير موضعه، واستدلال بما لا يجوز الاستدلال به في هذا الأمر.

٤- قوله" وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك".

وهذا دليل على عدم وجود الدليل على ما قاله وذكره وأصله.

فإن الشرع ينفي ذلك بحديث عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »[1].

٥- وما قاله شيخ الإسلام ليس عليه أمر النبيﷺ ولا الصحابة فهو لا شك أنه محدث، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

٦- وضرب المصروع عمل ليس عليه أمر النبيﷺ ولا الصحابة

(١) أخرجه مسلم (٤٥٨٩).

وقد قال ﷺ: « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ »[1]

ومن كان متعصبا لشيخ الإسلام ومعتقد ما قاله فليأت لنا بأدلة على ما قاله من الكتاب أو السنة بفهم سلف الأمة.

ثانيا: أسباب المس الشيطاني

الله تبارك وتعالى قد ذكر في كتابه أن الشيطان يمس الإنسان فيخبطه ويصرعه؛ لكن لم يثبت لا في الكتاب ولا في السنة أسباب هذا المس، وحيث أن الشيطان من عالم الغيب، وأن كل ما يجب اعتقاده في الغيبيات لابد وأن يكون بدليل صحيح صريح.

ولكن شيخ الإسلام قد جعل لذلك أسبابا وأطلق هذه الأسباب بما سبب الزعر والفزع للمسلمين ممن يعتقدون ذلك.

فقال رحمه الله:

وصرعهم للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للإنس مع الإنس وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه وكره أكثر العلماء مناكحة الجن. وقد يكون وهو كثير أو الأكثر عن بغض ومجازاة مثل أن يؤذيهم بعض الإنس أو يظنوا أنهم يتعمدوا أذاهم إما ببول على بعضهم وإما

(١) أخرجه مسلم(٤٥٩٠) عن عائشة.

بصب ماء حار وإما بقتل بعضهم وإن كان الإنسي لا يعرف ذلك – وفي الجن جهل وظلم – فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الإنس. اهـ [1]

وقال أيضا:

وصرع الجن للإنس هو لأسباب ثلاثة:

١– تارة يكون الجني يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل.

٢– وتارة يكون الإنسي آذاهم إذا بال عليهم أو صب عليهم ماء حارا أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى وهذا أشد الصرع وكثيرا ما يقتلون المصروع.

٣– وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الإنس بأبناء السبيل. اهـ[2]

ولنا مع هذا الكلام وقفات:

الوقفة الأولى: الصرع بسبب الهوى والشهوة والعشق

١– كل هذه أسباب لا دليل عليها لا من الكتاب ولا من السنة، ولا من أقوال الصحابة في فهمهم للكتاب والسنة ولا من أقوال التابعين.

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٨٢).

فصار الكلام باطلا مردودا.

ومن ادعى أن هذا الكلام صوابا فليأتنا بدليل لنتراجع عما قلناه واعتذرنا.

٢- شيخ الإسلام لم يكن معه دليل؛ وإنما لجأ إلى القياس بين الإنس والشيطان.

وهذا قياس فاسد؛؟لأنه قياس يخلو من العلة المنصوص عليها والمستنبطة في آن واحد.

وطبيعة الجن تختلف عن طبيعة الإنسان فضلا عن طبيعة الشياطين.

٣- ولماذا لم يقس شيخ الإسلام ابن تيمية طبيعة الإنسان على طبيعة الملائكة، وهم أيضا عالم غيبي كالجن!؟.

لأن المسألة كما قلنا موروث شعبي من أهل الدجل والشعوذة، فعندهم الملائكة قوم يلبسون الأبيض ووجوههم بيضاء، ولهم ملمس حرير، ورقيقي الكلام، بعكس الجن والشياطين.

وكل هذا جعل شيخ الإسلام يقيس بهذه الصورة الباطلة.

٤- التناقض الواضح في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، فإذا كان أهل السنة متفقون فمعنى ذلك أن هناك أدلة شرعية، فكيف يلجأ للقياس وعنده الأدلة الشرعية.؟!

فالقياس يلجأ إليه عند فقدان الدليل وليس عند وجود الدليل، كما قال أهل العلم: لا قياس مع نص.

٥- قضية العشق والهوى هذه سببت دمارا نفسيا ورعبا عند كثير من المسلمين، فكل من يحلم بحلم فيه جنس ودعارة وعشق يقول أن جنية تعشقه وهي بداخله، وهنا يفتح المجال للدجالين والمشعوذين والكذابين والنصابين لأغراء الناس وأكل أموالهم بالباطل.

هذا بخلاف أصحاب الهوى والفسوق والفشلة من الناس يضحكون على المقربين منهم بهذه الأشياء. أو يعلقون فشلهم على وجود جنية أو جني في جسده يعشقه.

فلربما اهدرت المرأة حق زوجها بزعم أن هناك جني عاشق يمنعها من زوجها ويجامعها بالليل.

وقد وجدت من هذا الصنف كثيرا رجالا ونساء.

٦- جاءني شاب وأخبرني أن هناك جنية تأتيه بالليل وتلبس له أجمل الثياب ويجامعها. فقلت له اقرأ آية الكرسي قبل أن تنام.

فقال: اقرأها كل ليلة ولا ينفع.

فقلت له: إذن فأنت كذاب.

قال: كيف أكون كذابا؟

قلت له: جاء في صحيح البخاري(٣٢٧٥)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ- فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ».

فالنبيﷺ صدق على كلام هذا الشيطان، وأن الإنسان إذا قرأ أية الكرسي عند نومه لا يقربه شيطان حتى يصبح.

فهل أصدقك أنت وأكذب رسول الله ﷺ؟ أم أصدق رسول اللهﷺ وأكذبك أنت؟ فسكت هذا المتلاعب وانصرف.

وللحديث فوائد أخرى منها أن الشيطان يسرق من المال الغير محروز ويتشكل في صورة إنسان ويكلم من أمامه باعتباره إنسان. ومنها أنه يعرف ما يصرفه عن الإنس وهو آية الكرسي.

ولكن هذا التشكل في عصر النبوة فقط أما بعد النبوة فلم يثبت ذلك.

الوقفة الثانية: كلام عجيب لا يصدر من مثل شخص شيخ الإسلام

حيث قال: " وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف".

١- الله تبارك وتعالى جعل للجن عالما وطبيعة وجعل للإنس عالما وطبيعة، وكل من العالمين مختلف عن الآخر. فالأنس عالم حسي، والجن والشياطين عالم غيبي.

فلا نؤمن بما يتعلق به إلا بدليل من الكتاب أو السنة الصحيحة.

ولا يوجد لا دليل من الكتاب ولا من السنة الصحيحة على مناكحة الجن للإنس والعكس. فادعاء مثل هذا الأمر باطل، بل ضلال.

٢- الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم: ٢١].

والشاهد من أنفسنا، أي من جنسنا وليس من جنس غيرنا. وعلى هذا كلام السلف ولم يطرأ على أحد من السلف أنه يظن أن الازواج من غير جنسنا.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[النساء: ١].

فخلق حواء من جنس آدم وخلق أولادهم من جنسهم. وهكذا درج العالم منذ خلق آدم وحتى الآن لا نسمع عن مثل الزواج بين الجن والإنس، فضلا أن يتم بين شياطين الجن وبين مسلمي الإنس. هذا خطأ بين واضح.

٣- عندما يقول شيخ الإسلام "ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف" نقول: وأين المعروف في ذلك؟ لم يذكر لنا إنسان أبوه إنس وأمه جنية أو شيطانة، ولا إنسان أو جني وأمه إنسية من بني آدم فكيف هو معروف؟.

لا أدري كيف يتكلم شيخ الإسلام هذا الكلام الباطل الذي لا خطام له ولا زمام؟.

لا أدري كيف يصدقه من يدعي العلم والسلفية بهذا الهراء؟ ويحكونه للناس على أنه حقيقة؟.

ولو أن شيخ الإسلام قرأه في كتب المتقدمين فكيف استساغه بغير دليل؟ وهو ما يثبت كلاما بأدلة شرعية؟.

الأمر جد خطير وعلى أهل العلم أن يعيدوا النظر في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضيع كثيرة، ونبين ما فيها من خطأ وصواب حتى لا يفتن بها الشباب.

٤- عندما نعتقد بهذه العقيدة الفاسدة فإنها تعطل الحدود وتنشر الفساد، فإذا ما رأينا امرأة حملت من غير زوج أو وزوجها غائب وقالت جاء الشيطان وعاشرني نصدقها، وإذا ما ولد ولدٌ ننسبه للشيطان.

وهذا شيء لم يحدث قط. ولم نسمع عنه من قديم الزمان إلا في حكايات الخرافات التي يتكلم بها بعض الناس للتسلية، وهم يعلمون أنها كذب.

٥- بسبب هذا الأمر هناك اعتقاد سائد عند بعض الناس أو كثير منهم أن الرجل الذي بلغ الأربعين ولم يتزوج فإنه متزوج بجنية. فكيف لنا أن نكذب هذه الخرافة وشيخ الإسلام يقول قد يحدث؟ سبحانك ربي.

٦- ابن تيمية ذكر الخلاف بين الجن والإنس في كيفية التكليف

فقال ابن مفلح:

وقال شيخنا: ليس الجن كالإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به وما نهوا عنه مساويا لما على الإنس في الحد والحقيقة، لكنهم مشاركوهم في جنس التكليف بالأمر، والنهي، والتحليل، والتحريم، بلا

نزاع أعلمه بين العلماء، فقد يدل ذلك على مناكحتهم وغيرها، وقد يقتضيه إطلاق أصحابنا. اهـ[1]

والناظر في كلامه يرى أنه يقيس المناكحة على المشاركة بين الجن والإنس في جنس التكليف الشرعية، وهذا قياس فاسد.

فإن الحكم الشرعي في المناكحة تختلف عن ذات المناكحة، فلو علمنا وقوع ذات المناكحة بدليل من الكتاب أو السنة الصحيحة لتكلمنا في الحكم الشرعي لذلك من جواز او كراهة أو تحريم.

٧- قد ذكر بعض أهل العلم موضوع نكاح الجنية.

وعند النظر في كلامهم نراه كله خرافات لا دليل عليها لا من كتاب ولا من سنة ولا من قول صحابي. [2]

فمن احتج بكلام هؤلاء العلماء فعليه أن يثبت كلامهم بدليل

فكل قول يستدل له إلا قول النبي ﷺ فإنه يستدل به.

ومن لم يجد دليلا على جواز وقوع هذا النكاح فليعلم أنه خرافات وبدع مخالفة للكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

ومنها ما نقله ابن مفلح في الفروع:

---

(١) الفروع – ابن مفلح (٢/ ٤٢٦).

(٢) انظر على سبيل المثال كتاب "أسنى المطالب في شرح روض الطالب للسبكي(٣/ ١٦٢)، وكتاب النجم الوهاج في شرح المنهاج للدميري (٧/ ١٧١)وكتاب الفروع وتصحيح الفروع لابن مفلح (٢/ ٤٦٢).

وفي مسائل حرب باب مناكحة الجن ثم روي عن الحسن وقتادة والحكم وإسحاق كراهتها، وروي من رواية ابن لهيعة، عن يونس، عن الزهري نهى النبي ﷺ عن نكاح الجن. (١)

قلت: وما ذكر عن الحسن وقتادة ضعيف.

قال حرب: حدثنا إبراهيم بن عرعرة، قال: حدثني سلم بن قتيبة، قال: حدثني عقبة الرفاعي. (٢)

بالقولين عن الحسن وقتادة.

والسند ضعيف جدا؛ ابراهيم بن عرعرة مجهول، وعقبة الرفاعي ضعيف.

وكلامهم على حكم الكراهة وليس الجواز. إذا ثبت.

وما ذكره عن الحكم فيه حجاج بن أرطأة: ضعيف.

وقد ورد في رواية أخرى عند سعيد بن منصور في سننه قال: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الحجاج، عن الحكم قال: كان يقول في طلاق المبرسم، والمحموم الذي يهذي ونكاح الجن أن طلاقهم ليس بشيء، وإن نكاح الجن ليس بشيء. (٣)

---

(١) الفروع وتصحيح الفروع (٢/ ٤٦٢).

(٢) مسائل حرب الكرماني (١/ ٤٠٣).

(٣) أنظر سنن سعيد بن منصور(١١١٨)

وهو دليل على أنه لا يراه أصلا يقع.

ومثل هذا الأمر لو كان حقيقة لاشتهر عن الصحابة والتابعين. وحيث أنه لم يشتهر فلا أصل لوجوده.

وأما حديث" نهى عن نكاح الجن" ففيه آفتان:

الأولى: عبد الله بن لهيعة وهو حسن الحديث إذا روى عنه رواة غير بشر بن عمر هنا فإنه لم يكن ممن ثبت التلقي عنه من أصوله أو قبل اختلاطه. وقد حققنا القول في حاله في كتابنا" التحقيقات البديعة" وأثبتنا حسن حديثه إذا روى عنه ثلاثة وعشرون نفرا.

الآفة الثانية: الانقطاع بين الزهري وبين النبيﷺ. فلا يثبت بهذا الحديث حكما شرعيا عمليا أو اعتقاديا.

والحديث قال عنه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٤/ ١٣٥) (٦٥٥٩): منكر.

ولو كان ممكنا لورد في القرآن والسنة الصحيحة، ولم يرد ذلك.

٨- ورد أحاديث وآثار عن نكاح الجن وفتاوى علماء وأئمة وكلها ضعيفة لا تثبت عن أحد وهي خرافات دخيلة على دين الإسلام، إذ لو كانت حقيقة لورد إلينا ولو حالة واحدة موثقة على مر التاريخ. فهذا دليل على عدم الوقوع.

وورد أيضا عن ملكة بلقيس أن أمها جنية وهي قصة باطلة

وقد قال الإمام الألوسي:

وقد أخرج ذلك ابن أبي شيبة. وابن المنذر عن مجاهد. والحكيم الترمذي.

وابن مردويه عن عثمان بن حاضر أن أمها امرأة من الجن يقال لها بلقمة بنت شيصا.

وابن أبي حاتم عن زهير بن محمد أن أمها فارعة الجنية.

وفي «التفسير الخازني» أن أباها شراحيل كان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤاً لي وأبى أن يتزوج فيهم فخطب إلى الجن فزوجوه امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن وسبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم على ما قيل إنه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صور الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقاً فخطب ابنته فزوجه إياها.

وقيل: إنه خرج متصيداً فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فأفاقت فأطلقها فلما رجع إلى داره جلس وحده منفرداً فإذا هو معه شاب جميل فخاف منه فقال: لا تخف أنا الحية البيضاء الذي أحييتني

والأسود الذي قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال: لا حاجة لي به ولكن إن كان لك بنت فزوجينها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس انتهى، وأخرج ابن جرير. وأبو الشيخ في العظمة. وابن مردويه.

وابن عساكر عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ أحد أبوي بلقيس كان جنياً» والذي ينبغي أن يعول عليه عدم صحة هذا الخبر، وفي «البحر» قد طولوا في قصصها يعني بلقيس بما لم يثبت في القرآن ولا الحديث الصحيح وأن ما ذكر من الحكايات أشبه شيء بالخرافات فإن الظاهر على تقدير وقوع التناكح بين الأنس والجنس الذي قيل يصفع السائل عنه لحماقته وجعله أن لا يكون توالد بينهما، وقد ذكر عن الحسن فيما روى ابن عساكر أنه قيل بحضرته: إن ملكة سبأ أحد أبويها جني فقال: لا يتوالدون أي أن المرأة من الإنس لا تلد من الجن والمرأة من الجن لا تلد من الإنس.

نعم روى عن مالك ما يقتضي صحة ذلك.

ففي الأشباه والنظائر لابن نجيم روى أبو عثمان سعيد بن داود الزبيدي قال: كتب قوم من أهل اليمن إلى مالك يسألونه عن نكاح الجن وقالوا: إن ههنا رجلاً من الجن زعم أنه يريد الحلال فقال: ما أرى

بأساً في الدين ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل قيل لها من زوجك؟ قالت: من الجن فيكثر الفساد في الإسلام بذلك انتهى، ولعله لم يثبت عن مالك لظهور ما يرد على تعليل الكراهة، ثم ليت شعري إذا حملت الجنية من الإنسي هل تبقى على لطافتها فلا ترى والحمل على كثافته فيرى أو يكون الحمل لطيفاً مثلها فلا يريان فإذا تم أمره تكثف وظهر كسائر بني آدم أو تكون متشكلة بشكل نساء بني آدم أو تكون متشكلة بشكل نساء بني آدم ما دام الحمل في بطنها وهو فيه يتغذى وينمو بما يصل إليه من غذائها وكل الشقوق لا يخلو عن استبعاد كما لا يخفى. اهـ[1]

والتشكل الذي ذكره بعد النبوة لم يثبت بحال من الأحوال وإنما هي خيالات وأهام. وهذه مسألة سوف نذكرها في كتابنا "مس الشيطان بين أهل السن وأهل البدعة"

الوقفة الثالثة: تخمين لابن تيمية عن أسباب صرع الشيطان

قال رحمه الله: وقد يكون وهو كثير أو الأكثر عن بغض ومجازاة مثل أن يؤذيهم بعض الإنس أو يظنوا أنهم يتعمدوا أذاهم إما ببول على بعضهم وإما بصب ماء حار وإما بقتل بعضهم وإن كان الإنسي لا

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني (١٠/ ١٨٤).

يعرف ذلك – وفي الجن جهل وظلم – فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الإنس. اهـ

١– وعندما نبحث عن دليل لهذا الكلام لا نجد شيئا لا في الكتاب ولا في السنة وفي أقوال الصحابة.

٢– ونسأل: من أين أتى ابن تيمية بمثل هذا التحقيق؟ فلا نجد جوابا.

٣– وهل هو وهم أو ظن أو يقين؟ فإذا كان يقينا فلابد من دليل صحيح صريح لا يحتمل إلا معنى واحد وهذا غير موجود.

وإذا كان ظنا فلابد من دليل ظاهر يحتمل أكثر من معنى وقد وقع الخلاف بين السلف، وهذا أيضا غير موجود.

ويبقى الوهم، وهو أن يرجح ما ليس له دليل لا من الكتاب ولا من السنة.

٤– موضوع صب الماء الساخن في الحمام أو في الطريق أو في أي مكان وأنه ممكن يؤذي جنيا من غير أن يعرف فيؤذيه الجني، فيكون الحكم الشرعي تحريم صب الماء الساخن !!

وهذا لا يقوله ابن تيمية ولا أحد من الأمة.

وإذا كان الإنسان قد يبول فيقع على شيطان فيمسه ويؤذيه، وهذا الاحتمال يجعلنا لا نتبول في أماكن البول لاحتمال وقوع الأذى؟!!

وهذا كلام لا يقوله عاقل.

٥- مثل هذه الأقوال اتاحت الفرصة لأهل الدجل والشعوذة والاحتيال أن يأكلوا أموال الناس بالباطل ويكذبون عليهم بمثل هذه الأقوال ويعيش الناس في رعب وفزع.

وهذا ما وقع ويقع كثيرا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد قال شيخ الإسلام:

فإن الله بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فكل ما أمر الله به ورسوله فمصلحته راجحة على مفسدته ومنفعته راجحة على المضرة. وإن كرهته النفوس.اهـ[1]

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٨)

الفصل الثالث

الرقية والعلاج

موضوع الرقية ورد في السنة في جملة أحاديث.

أولا: معناها:

الرقية: العوذة التي يرقى بها المريض، ونحوه. وهي كلام يستشفى به من كل عارض.

أو هي التي يرقى بهَا الْإِنْسَان من فزع أَو جُنُون لِأَنَّهُ يُعاذُ بهَا، وَقد عَوَّذَه.

أو هي: العُوذَةُ يرقى بها الإنسانُ، وهي أدعية أو آيات خاصّة تكتب وتعلّق على الإنسان أو تقرأ له لتشفيه من مرض أو تقية العينَ أو الجنون أو الفزع أو غيرها ج رُقىً ورُقْيَاتٌ.

أو هي: العُوذة الَّتِي يُرْقَى بِهَا صَاحِبُ الْآفَةِ كالحُمَّى والصَّرع وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآفَاتِ[1]

وقد كان العرب في الجاهلية يستعملون الرقية للاستشفاء من الأمراض، فلما بعث النبي ﷺ أقر ذلك ما لم تكن بها شرك، أي استغاثة وطلب الشفاء من غير الله تعالى.

---

(١) انظر القاموس الفقهي (ص: ١٥٢) المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٣٣٥) المعجم المحيط (ص: ٤٩٦) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٥٤)

ثانيا: أقسام الرقية:

الرقية قسمان:

القسم الأولى: رقية محرمة، وهي ما تحوي عزائم وطلاسم وأشكال هندسية وفيها كلام شرك أو كلام غير مفهوم معناه فهذه لا تجوز.

القسم الثاني: رقية جائزة، وهي ما تحوي من الكلام المفهوم وخالية من الشرك.

وهذه الرقية نوعان:

الأول: رقية من الكتاب والسنة.

وهذه مقيدة بالدليل، فلا يستخدم حديث ولا آية على أنها رقية إلا بدليل يدل على ذلك.

الثاني: رقية جائزة: يختارها الرجل كدعاء معين يستعمله بشرط أن يكون خاليا من الشرك وبلسان مفهوم. وهذه مطلقة.

قال ابن حجر:

قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

- أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته
- وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره
- وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى.

واختلفوا في كونها شرطا والراجح أنه لا بد من اعتبار الشروط المذكورة. اهـ[1]

ثالثا: صلاحية الرقية

تصلح الرقية لجميع الأمراض سواء كانت بدينة أو نفسية أو للعين والحسد والسحر، ولا يمنع أن هناك رقية مخصصة لأمراض معينة. ولكن لابد وأن تكون مخصصة بدليل.

روى البخاري(٥٧٤١) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الأَسْوَدِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، عَنِ الرُّقْيَةِ مِنَ الحُمَةِ، فَقَالَتْ: «رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ الرُّقْيَةَ مِنْ كُلِّ ذِي حُمَةٍ».

وروى أيضا(٥٧٣٨) عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَمَرَ أَنْ يُسْتَرْقَى مِنَ العَيْنِ».

وروى أيضا(٥٧٣٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَرُّوا بِمَاءٍ، فِيهِمْ لَدِيغٌ أَوْ سَلِيمٌ، فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الماءِ، فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ، إِنَّ فِي الماءِ رَجُلًا لَدِيغًا أَوْ سَلِيمًا، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ عَلَى شَاءٍ، فَبَرَأَ، فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَقَالُوا: أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا، حَتَّى قَدِمُوا المَدِينَةَ،

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٩٥).

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ».

وروى أيضا (٥٧٤٢) عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، اشْتَكَيْتُ، فَقَالَ أَنَسٌ: أَلاَ أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»

وروى أيضا(٥٨٤٥) عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: «بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا».

رابعا: الرقية المحرمة عند شيخ الإسلام

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم سواء أكان ذلك سائغا عند أهل الإيمان أو كان شركا فإن المشركين يقرءون من العزائم والطلاسم والرقى ما فيه عبادة للجن وتعظيم لهم وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن. اهـ[1]

(١) مجموع الفتاوى (الباز المعدلة) (١٩/ ١٣).

ولنا مع هذا الكلام وقفات:

الوقفة الأولى: خلطه بين الجن والشيطان

الرقية المقصودة هنا تكون من الشيطان ومسه، وليس من الجن، فكما ذكرنا قبل ذلك، وأن شيخ الإسلام خلط بين الجن والشيطان.

الوقفة الثانية: ما ذكره حق في جانب الرقية المحرمة

وهي كما ذكرنا ما يكون فيها طلاسم وعزائم شركية.

وهذا ما يستخدمه المشعوذون والسحرة ويضحكوا على الناس بتلاوة بعض آيات القرآن ليوهموا الناس بصدقهم.

خامسا: رقية المصروع

قال شيخ الإسلام:

وأما معالجة المصروع بالرقى والتعوذات فهذا على وجهين: فإن كانت الرقى والتعاويذ مما يعرف معناها ومما يجوز في دين الإسلام أن يتكلم بها الرجل داعيا الله ذاكرا له ومخاطبا لخلقه ونحو ذلك.

فإنه يجوز أن يرقى بها المصروع ويعوذ فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ «أنه أذن في الرقى ما لم تكن شركا». «وقال: من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل» اهـ[1].

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٧).

ولنا وقفات مع هذا الكلام

الوقفة الأولى: الحديث الأول

قد أخرجه مسلم (٢٢٠٠) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ».

وهذا الحديث يدل على أن الرقية عبارة عن كلام يرقي به الإنسان، فإنه جائز ما لم يحوي شركا، حتى ولو رقية غير المسلمين.

قال ابن رسلان:

ما لم يكن فيه شيء من الشرك المحرم، وفيه دليل على جواز الرقى والتطبب بما لا ضرر فيه ولا منع شرعًا مطلقًا، وإن كان بغير أسماء اللَّه تعالى وكلامه، لكن إذا كان مفهومًا، وفيه الحث على السعي في إزالة الأمراض والأضرار عن المسلمين بكل ممكن جائز.اهـ[1]

الوقفة الثانية: الحديث الثاني:

أخرجه مسلم (٢١٩٩) عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرُّقَى، فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرَبِ، وَإِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى،

(١) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٥/ ٦١٦).

قَالَ: فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا أَرَى بَأْسًا مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ».

قال القاضي عياض:

فيحتمل أن يكون النهى ثابتاً ثم نسخ، أو يكون كان النهى لأنهم كانوا يعتقدون منفعتها بطبيعة الكلام كما كانت تعتقد الجاهلية، فلما استقر الحق في أنفسهم وارتاضوا بالشرع أباحها لهم، مع اعتقادهم أن الله هو النافع الضار، أو يكون النهى عن الرقى الكفرية، ألا تراه قال للذي قال له: نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه ﷺ فقال: «ما أرى بأساً».

وقد وقع في بعض الأحاديث: «لا رقية إلا من عين أو حمة»

وهذا تأوله أهل العلم على أنه لم يرد به نفى الرقى عما سواها، بل المراد به: لا رقية أحق وأولى من العين والحمة. اهـ[1]

الوقفة الثالثة: هل يوجد رقية خاصة بإخراج الشياطين؟

١- لا يوجد دليل من الكتاب أو السنة أو كلام السلف على وجود رقية خاصة بإخراج الشياطين من الإنسان؛ لأنه لا يدخل الإنسان ويصرعه، بل يمسه من الخارج فيصرعه.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٩٩).

٢- من ادعى أن هناك رقية خاصة باستخراج الشياطين فعليه بالدليل وعمل النبيﷺ وأصحابه.

٣- الرقية التي يتداولها المعالجين هي رقية بدعية، وليست برقية شرعية فالرقية الشرعية هي ما ثبت استخدامها وتحديدها بالكتاب أو السنة الصحيحة.

يأتي دجال ويقول أنها من القرآن وهل القرآن بدعة؟.

نقول له: القرآن بذاته لا يقول عنه مسلم أنه بدعة؛ وإنما وضع القرآن في غير موضعه هو البدعة.

فمثلا قراءة القرآن قبل صلاة الفجر في المذياع هل هو مشروع؟

سيقول لك نفس الشخص: لا ليس مشروع وإنما هو بدعة.

ونقول له: وهل القرآن الذي يقرأ قبل الجمعة مشروع؟.

يقول لك: لا ليس مشروع بل بدعة.

لأن كل هذا لم يرد به النص.

وكذلك نقول له: وأن تحديد آيات من القرآن ما لم يرد بها نص فهي بدعة.

يأتي ويقول: لكن الله تعالى يقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء: ٨٢].

ونقول له: وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء: ٧٨].

فهل قرآن قبل الفجر وما يسميه الناس بقرآن الفجر مشروع؟.

سيقول لك: لا ولكن المقصود هو القرآن الذي يقرأ في الصلاة وليس قبل الصلاة.

نقول له أيضا أكمل آية الشفاء؛ قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[الإسراء: ٨٢].

قال ابن جرير الطبري:

يقول تعالى ذكره: وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الضلالة، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرّمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، ويُنجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم ﴿لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا﴾ يقول: ولا يزيد هذا الذي ننزل عليك من القرآن الكافرين به إلا خسارا: يقول: إهلاكا، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به، فلم يأتمروا لأمره، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه،

فزادهم ذلك خسارا إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار، ورجسا إلى رجسهم قبلُ.اهـ[1]

فهنا لم يقل أحد من السلف أن معنى الشفاء هو الرقية من الشياطين والأمراض. وإنما هو تفسير الجهلة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ٥٧].

قال ابن جرير:

وقوله: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾، يقول: ودواءٌ لما في الصدور من الجهل، يشفي به الله جهلَ الجهال، فيبرئ به داءهم، ويهدي به من خلقه من أراد هدايته به.

(وهدى)، يقول: وهو بيان لحلال الله وحرامه، ودليلٌ على طاعته ومعصيته.

(ورحمة)، يرحم بها من شاء من خلقه، فينقذه به من الضلالة إلى الهدى، وينجيه به من الهلاك والردى. وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به، لأن من كفر به فهو عليه عمًى، وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلودُ في لظًى. اهـ[2]

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٣٨).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٠٥).

فهذا لا علاقة له برقية العفاريت والجن، ومن يقل ذلك فقد وضع القرآن في غير موضعه وضل ضلالا مبينا.

سادسا: الرقية بكلام الشرك وما لم يعرف معنا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وإن كان في ذلك كلمات محرمة مثل أن يكون فيها شرك أو كانت مجهولة المعنى يحتمل أن يكون فيها كفر فليس لأحد أن يرقي بها ولا يعزم ولا يقسم.

وإن كان الجني قد ينصرف عن المصروع بها؛ فإن ما حرمه الله ورسوله ضرره أكثر من نفعه؛ كالسيميا وغيرها من أنواع السحر.

فإن الساحر السيماوي وإن كان ينال بذلك بعض أغراضه كما ينال السارق بالسرقة بعض أغراضه، وكما ينال الكاذب بكذبه وبالخيانة بعض أغراضه، وكما ينال المشرك بشركه وكفره بعض أغراضه، وهؤلاء وإن نالوا بعض أغراضهم بهذه المحرمات فإنها تعقبهم من الضرر عليهم في الدنيا والآخرة أعظم مما حصلوه من أغراضهم.

فإن الله بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فكل ما أمر الله به ورسوله فمصلحته راجحة على مفسدته ومنفعته راجحة على المضرة. وإن كرهته النفوس. اهـ[1]

١- وهذا الكلام حق ومتين وبه جاءت السنة الصحيحة في قولهﷺ:، «لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ».

٢- فالرقية كما قلنا ثلاثة:

الأول: رقية بالشرك أو بكلام غير مفهوم وهذا محرم.

الثاني: رقية بالكتاب والسنة بحسب ما وردت به النصوص فهذا جائز.

الثالث: رقية يتكلم بها الإنسان كدعاء يقوله أو كلمات يركبها وبكلام مفهوم وخالية من الشرك فهذا جائز.

الرابع: رقية يخترعها الإنسان بكلام غير مفهوم فهذا غير جائز لاحتمال أن تكون فيها شرك.

الخامس: ينظم آيات من القرآن من غير دليل عليها فهي رقية بدعية غير جائزة.

٣- ليس المقصد من الرقية أن تأتي بنتيجة وهذا باطل.

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٨).

بل الغرض من الرقية أن تكون منضبطة بالضوابط الشرعية، فمن جاء بأحاديث ليست برقية ولم يذكرها النبي ﷺ وآيات من القرآن وجعلها رقية فهذا باطل.

سابعا: الحديث من المصروع باعتباره شيطانا يتكلم

وهذه من المسائل المهمة التي تحدث فيها ابن تيمية من غير دليل شرعي في ذلك وقد رسخ رحمه الله لمبدأ الدجل والشعوذة الذي وقع فيه المسلمون وخاصة السلفيين في العصر الحاضر، وصار كلامه دينا متبعا، ويعارضون به كل من يطلب الدليل على هذه الأفعال الخارجة عن الشرع.

قال شيخ الإسلام:

وأما سؤال الجن وسؤال من يسألهم فهذا إن كان على وجه التصديق لهم في كل ما يخبرون به والتعظيم للمسئول فهو حرام كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت: يا رسول الله أمورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان قال: «فلا تأتوا الكهان»[1].

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

وفي صحيح مسلم أيضا عن عبيد الله؛ عن نافع؛ عن صفية؛ عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما»(١).

وأما إن كان يسأل المسئول ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه فهذا جائز كما ثبت في الصحيحين: «أن النبي ﷺسأل ابن صياد فقال: ما يأتيك؟ فقال: يأتيني صادق وكاذب قال: ما ترى؟ قال: أرى عرشا على الماء قال: فإني قد خبأت لك خبيئا قال: الدخ الدخ قال: اخسأ فلن تعدو قدرك فإنما أنت من إخوان الكهان»(٢).

وكذلك إذا كان يسمع ما يقولونه ويخبرون به عن الجن كما يسمع المسلمون ما يقول الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم فيعتبروا به وكما

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٠).

(٢) الحديث في صحيح البخاري(٦١٧٣) ومسلم (٢٩٢٤)، من غير جملة (اخوان الكهان) فإنما وهم وقع فيه ابن تيمية فخلط بين حديثين، وحديث أخوان الكهان أخرجه البخاري(٥٧٥٨) ومسلم (١٦٨١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَضَى: أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، فَقَالَ وَلِيُّ المَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ: كَيْفَ أَغْرَمُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ، وَلاَ نَطَقَ وَلاَ اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الكُهَّانِ» وزاد مسلم " مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِي سَجَعَ" فتبين وهم ابن تيمية في خلطه بين الحديثين.

يسمع خبر الفاسق ويتبين ويتثبت فلا يجزم بصدقه ولا كذبه إلا ببينة كما قال تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[الحجرات: ٦].

وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة: «أن أهل الكتاب كانوا يقرءون التوراة ويفسرونها بالعربية فقال النبي ﷺ إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم [فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه] وقولوا: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٦] (١)

فقد جاز للمسلمين سماع ما يقولونه ولم يصدقوه ولم يكذبوه.

وقد روي عن أبي موسى الأشعري أنه أبطأ عليه خبر عمر وكان هناك امرأة لها قرين من الجن فسأله عنه فأخبره أنه ترك عمر يسم إبل الصدقة(٢).

وفي خبر آخر أن عمر أرسل جيشا فقدم شخص إلى المدينة فأخبر أنهم انتصروا على عدوهم وشاع الخبر فسأل عمر عن ذلك فذكر له

(١) الحديث أخرجه البخاري (٤٤٨٥) دون ما بين المعكوفتين فإنما هو من ادراج ابن تيمية في الحديث.

(٢) أثر منكر وسيفصل في الأصل.

فقال: هذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجن[1] وسيأتي بريد الإنس بعد ذلك فجاء بعد ذلك بعدة أيام.اهـ[2]

ولنا مع هذا الكلام وقفات:

الوقفة الأول: أثر أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

فقد رواه عبد الله بن الإمام أحمد في فضائل الصحابة – (٣٠٤)

قال: حدثنا شجاع بن مخلد إملاء، قال: حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن عمر بن محمد، عن سالم بن عبد الله، عن أبي موسى الأشعري قال: أبطأ عليه خبر عمر، فكلم امرأة في بطنها شيطان، فقالت: حتى يجيء شيطاني فأسأله، قال: رأيت عمر متزرا بكساء يهنأ إبل الصدقة، وقال: لا يراه الشيطان إلا خر لمنخريه، للملك بين عينيه وروح القدس ينطق على لسانه.

وابن أبي الدنيا في "الهواتف"(١٦٥) حدثني عبد الله بن أبي بدر، حدثني يحيى بن اليمان. به.

يحيى بن يمان العجلى، أبو زكريا الكوفي:

أحمد بن حنبل: ليس بحجة.

قال زكريا بن يحيى الساجي: ضعفه أحمد بن حنبل.

---

(١) أثر لا أصل له.

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٢).

وقال: حدث عن الثوري بعجائب لا أدرى لم يزل هكذا أو تغير حين لقيناه أو لم يزل الخطأ في كتبه، وروى من التفسير عن الثوري عجائب.

عن يحي بن معين: ليس بثبت، لم يكن يبالى أي شيء حدث، كان يتوهم الحديث.

وقال النسائي: ليس بالقوى.

قال ابن عدى: عامة ما يرويه غير محفوظ، وهو في نفسه لا يتعمد الكذب، إلا أنه يخطئ و يشتبه عليه.

فمثل هذا لا يعتمد علي روايته وما رواه ينكر عليه.

سالم بن عبد الله بن عمر ثقة فقيه لكن روايته عن عمر مرسلة.

قال ابن أبي حاتم:

قال أبو زرعة سالم بن عبد الله بن عمر عن أبي بكر الصديق مرسل وعن جده عمر بن الخطاب مرسل. اهـ[1]

وروايته عن ابي موسى الأشعري منقطعة.

فالأثر منكر سندا ومتنا.

(١) المراسيل لابن أبي حاتم (ص: ٨١).

الوقفة الثانية: مع أثر أبي الهيثم

أو عثيم بريد الجن أورده ابن جرير الطبري في تاريخ الرسل والملوك – تاريخ الطبري (٢/ ٥٢٩)، وكذلك الشبلي في آكام المرجان في أحكام الجان (ص: ١٩٢). بدون سند فالقصة لا أصل لها.

فالاستدلال بآثار واهية ومنكرة ليس من منهج أهل السنة والجماعة وخاصة في أمور العقائد. ومما يؤسف له أن يتناقل القصة كثير من الكتاب السلفيين المغرر بهم أو الجاهلين بأمور العقيدة وأخذوا ذلك تقليدا.

الوقفة الثالثة: سؤال الشيطان لم يكن على منهج السلف

فمن يتكلم في هذا الأمر لابد له من دليل من الكتاب أو السنة أو أقوال للصحابة، وحيث أنه لا دليل صحيح في ذلك فهذا الكلام من شيخ الإسلام لا خطام له ولا زمام، وإنما هو من خرافات المشعوذة، وإدخالها في العقيدة من البدعة الشنيعة.

الوقفة الرابعة: الخلط بين الكهان والعرافيين وبين الكلام مع المصروع.

وهذا من الأوهام التي وقع فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، فعلاقة الكهان والعرافيين بالجان علاقة مباشرة من خلال تعازيم معينة، وليست

علاقة بواسطة مصروع، فإن هذا لم يثبت لا عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا التابعين.

الوقفة الخامسة: إذا صح أن المصروع يتكلم عليه جني

فمجرد الكلام مع الشيطان معناه إما سؤاله عن شيء دون تصديق أو سؤاله بالتصديق، وكلاهما محظور شرعا. فالمتحدث مع الشيطان إما كاهن أو عرَّاف وهذه مصيبة كبرى. فلا يجوز أن تكون شرعا متبعا ولم يأت بها دليل.

الوقفة السادسة: لا يوجد صحابي كان يستخرج شيطان على مصروع

فلم يثبت عن أحد من الصحابة أو التابعين أو تابعيهم أنه كان متخصصا في استخراج الشياطين على المصروع وضربهم كما يعتقد شيخ الإسلام ابن تيمية أو كما كان يعمل.

الوقفة السابعة: هناك فرق بين سؤال الكهان والعرافيين وبين سؤال الجن.

فسؤال الكهان والعرافيين سؤال لبشر أمامنا نحس بهم ونشعر بهم وهم من جلدتنا، فيكون سؤالهم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: سؤالهم أمام عامة الناس لكشف حقائهم ودجلهم وشعوذتهم وابعاد الناس عنهم.

فهذا النوع من الأسئلة استدل له ابن تيمية وغيره ممن جاء بعده بحادثة ابن الصياد حين سأله النبيﷺ في الحديث الذي رواه البخاري(١٣٥٤) عن سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ، حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺبِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: «تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟»، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَرَفَضَهُ وَقَالَ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ» فَقَالَ لَهُ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُلِّطَ عَلَيْكَ الأَمْرُ» ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا» فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ: «اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ» فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلاَ خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ».

قال ابن بطال:

وفيه: أن للإمام والرئيس أن يكلم الكاهن، والمنجم على سبيل الاختبار لما عندهم، والعيب لما يَدَّعُونهُ، والإبطال لما ينتحلونه. اهـ[1]

وذكر ابن بطال الإمام والرئيس تحرزا من العامة حتى لا يحدث فوضى وضلال وتعرض الناس للفتنة.

وعندما ننظر في منهج الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لا نرى أحدا تعرض لكاهن أو عراف بالسؤال والاختبار. ففعل ذلك مخالف لما عليه هؤلاء، وتركه موافق لما هم عليه.

القسم الثاني: سؤال الكهان والعرافين وتصديقهم فيما يقولون.

وهذا كفر بما أنزل على محمد كما جاء في الحديث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهنا، أو عرافا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»[2]

القسم الثالث: سؤال الكهان والعرافين من غير قصد.

فهذا يحرم، ويبطل عمل أربعين يوما.

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/ ٣٤٣).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد(٩٥٣٦) والحاكم في المستدرك(١٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما جميعا من حديث ابن سيرين و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

كما روى مسلم(٢٢٣٠) عَنْ صَفِيَّةَ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

فموضوع سؤال الجن لم يرد لا عن النبيﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين، وهذا باطل.

ثامنا: كيفية التعامل مع الشيطان على المصروع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذلك أسباب الصرع من الشيطان:

وحينئذ فما كان من الباب الأول؛ فهو من الفواحش التي حرمها الله تعالى كما حرم ذلك على الإنس، وإن كان برضا الآخر، فكيف إذا كان مع كراهته فإنه فاحشة وظلم ؟.

فيخاطب الجن بذلك، ويعرفون أن هذا فاحشة محرمة أو فاحشة وعدوان لتقوم الحجة عليهم بذلك، ويعلموا أنه يحكم فيهم بحكم الله ورسوله الذي أرسله إلى جميع الثقلين الإنس والجن.

وما كان من القسم الثاني: فإن كان الإنسي لم يعلم فيخاطبون بأن هذا لم يعلم، ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة.

وإن كان قد فعل ذلك في داره وملكه؛ عرفوا بأن الدار ملكه، فله أن يتصرف فيها بما يجوز وأنتم ليس لكم أن تمكثوا في ملك الإنس بغير

إذنهم بل لكم ما ليس من مساكن الإنس كالخراب والفلوات؛ ولهذا يوجدون كثيرا في الخراب والفلوات ويوجدون في مواضع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابل والقمامين والمقابر. اهـ[1]

ولنا مع هذا الكلام وقفات:

الوقفة الأولى: طريقة باطلة لا دليل عليها

فلم يثبت عن أحد من الصحابة ولا التابعين أن خاطب شيطانا صارعا للإنسان. فأمر لم يكن على الصحابة والتابعين وتعم به البلوى ويوجد بين الناس ففعله مخالف لما هم عليه.

الوقفة الثانية: كيف يخاطب الجني؟

وما هي طريقة الخطاب؟ وهل تكون مثل الإنسي؟ أو غير الإنسي؟

وكيف لنا أن نعلم يقينا أن الموجود جني أو شيطان؟.

وما هو الدليل على هذه المعرفة؟.

كل هذه أسئلة الجواب عليها ذكر قول أو فعل للصحابة رضوان الله عليهم موافق للكتاب والسنة. غير ذلك فهو باطل مردود على صاحبه.

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٤٠).

الوقفة الثالثة: هذا الكلام جر الويلات على الناس

وذلك بعد سبعة قرون مرت على وفاة ابن تيمية خرج أناس يثقون في كلامه ففتحوا بابا للدجل والشعوذة باسم السلفية استنادا إلى ما قاله رحمه الله. وتوسعوا توسعا خطيرا في هذا الشأن قياسا على كلامه.

مع العلم أن بعد ابن تيمية لم يكن الأمر منتشرا كما هو الآن.

فعندما نعرف أن بعد كتابة ابن تيمية في هذه المسألة بهذه الطريقة لم يكتب بعده غير ثلاثة على مدار سبعة قرون؛ لكن في خلال ثلاثين سنة كتب أكثر من مائتي كتاب في الرقية والعلاج من السحر ومس الجان وبأسماء مختلفة تجلب أنظار الجهلة من الناس.

تاسعا: ابن تيمية يرد مسألة لأنه لو لم يرد فيها نص ولا قول صحابي

فسئل: عمن يقول: يا أزران: يا كيان هل صح أن هذه أسماء وردت بها السنة لم يحرم قولها ؟.

فأجاب:

الحمد لله، لم ينقل هذه عن الصحابة أحد لا بإسناد صحيح ولا بإسناد ضعيف ولا سلف الأمة ولا أئمتها.

وهذه الألفاظ لا معنى لها في كلام العرب؛ فكل اسم مجهول ليس لأحد أن يرقي به فضلا عن أن يدعو به ولو عرف معناها وأنه صحيح لكره أن يدعو الله بغير الأسماء العربية.اهـ[1]

فهنا ابن تيمية يرد ما قيل في ذلك باعتبار أنه لم يرد فيه دليل من الكتاب أو السنة أو عن الصحابة.

كذلك نقول مخاطبة الشيطان وموضوع مناكحة الجن والأنس ودخول الجن في الإنس كل ذلك لم يرد به نص ولا قول صحابي.

كذلك ضرب المصروع وسؤال الجن وغيرها لم يرد بها نص.

عاشرا: القراءة على الماء والزيت ونحوه ليس له أصل في الشرع

ويجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئا من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى كما نص على ذلك أحمد وغيره قال عبد الله بن أحمد: قرأت على أبي ثنا يعلى بن عبيد؛ ثنا سفيان؛ عن محمد بن أبي ليلى عن الحكم؛ عن سعيد بن جبير؛ عن ابن عباس قال: إذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب: بسم الله لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٨٣).

يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[النازعات: ٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الأحقاف: ٣٥].

قال أبي: ثنا أسود بن عامر بإسناده بمعناه وقال: يكتب في إناء نظيف فيسقى.

قال أبي: وزاد فيه وكيع: فتسقى وينضح ما دون سرتها.

قال عبد الله: رأيت أبي يكتب للمرأة في جام أو شيء نظيف.

وقال أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحيري: أنا الحسن بن سفيان النسوي؛ حدثني عبد الله بن أحمد بن شبوية؛ ثنا علي بن لحسن بن شقيق؛ ثنا عبد الله بن المبارك؛ عن سفيان؛ عن ابن أبي ليلى؛ عن الحكم؛ عن سعيد بن جبير؛ عن ابن عباس قال: إذا عسر على المرأة ولادها فليكتب: بسم الله لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم؛ سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم؛ والحمد لله رب العالمين ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[النازعات: ٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الأحقاف: ٣٥].

قال علي: يكتب في كاغدة[1] فيعلق على عضد المرأة قال علي: وقد جربناه فلم نر شيئا أعجب منه فإذا وضعت تحله سريعا ثم تجعله في خرقة أو تحرقه.اهـ[2]

ولنا مع هذا الكلام وقفات:

الوقفة الأولى: أثر ابن عباس منكر

فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى:

قال أبو طالب، عن أحمد بن حنبل: كان يحيى بن سعيد يضعف ابن أبي ليلى.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: كان سيء الحفظ، مضطرب الحديث، كان فقه ابن أبي ليلى أحب إلينا من حديثه، في حديثه اضطراب.

وعن يحيى بن معين: ليس بذاك

وعن أبي داود: سمعت شعبة يقول: ما رأيت أحدا أسوأ حفظا من ابن أبي ليلى.

وعن أحمد بن يونس: كان زائدة لا يروى عن ابن أبي ليلى، وكان قد ترك حديثه.

---

(١) قطعة جلد.

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٤).

وقال النسائي: ليس بالقوى.

قال ابن حبان: كان فاحش الخطأ، رديء الحفظ، فكثرت المناكير في روايته، تركه أحمد ويحيى.

وقال الدارقطني: كان ردئ الحفظ، كثير الوهم.

وقال ابن جرير الطبري: لا يحتج به.

وقال يعقوب بن سفيان: ثقة عدل، في حديثه بعض المقال، لين الحديث عندهم.

وقال صالح بن أحمد عن ابن المديني: كان سيء الحفظ ؛ واهي الحديث.

وقال أبو أحمد الحاكم: عامة أحاديثه مقلوبة.

فمثل هذا لا يحتج بحديثه أبدا وخاصة إذا انفرد.

الوقفة الثانية: الاختلاف في المتن

الاختلاف في متنه، وكلماته، وهو دليل على سوء حفظ صاحبه.

فلا يصح الاستدلال به.

الوقفة الثالثة: الأثر عن المرأة إذا تعثرت ولادتها

فكيف لشيخ الإسلام أن يجيز هذا للمصروع؟.

وهل كل رقية في شيء نجربها في شيء آخر ونجوزها؟.

وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية بالجواز هذا حكما شرعيا، فمن أين أتى به؟ والحكم الشرعي لا يثبت إلا بالكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

أن يقال: الحكم الشرعي لا يثبت إلاّ بدليله، والدليلُ مُنتفٍ، فلا يثبت. وهذا يُسَمَى حَصْرَ المداركِ ونفيها، وهذا مضمونُه أنَ ثبوتَ الحكمِ في حَقَّنا بدون دليلٍ منتفٍ، والدليلُ منتفٍ، فيَنْتَفي الحكمُ، وإذا انتفى أحدُ النقيضين ثبتَ الآخر. والدليل وإن كان لا ينعكس، بل قد يَثبتُ الشيءُ بدون دليله، فهذا مما ليس علينا معرفته. وأما الأحكام التي هي الأمر والنهي، التي علينا أن نَعرِفَها، فلا تَثبتُ بدون دليلها.

وأيضًا فإنّ قولَ اللهِ ورسوله هو المثبتُ لهذه الأحكام، فإذا انتفى الموجبُ انتفى مُوجَبُه، فانتفتْ لانتفاء مُوْجبها، وهو دليلُه، فإن خَطابَ الشارعِ ليس دليلاً مختصًّا، بل هو الَدليل، وهو المثْبِتُ لها في نفس الأمر، ولا واجبَ إلاّ ما أوجبَه الله تعالى ورسولُه، ولا حرامَ إلاّ ما حرَّمه الله ورسولُه.اهـ[1]

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس (٢/ ٢٨٤).

الوقفة الرابعة: مثل هذا الكلام يؤدي إلى التوسع فيما لم يرد به نص لا من الكتاب ولا من السنة ومن أفعال الصحابة.

وذلك أن القراءة على الزيت، وتحضير البخور، وماء الورد، والزعفران وغير ذلك مما توسع فيه السحر والدجالين وأخذه عنهم من المهاويس بالعلاج وادعوا أنهم على منهج السلف يسيرون وبهم يقتدون. هو بدع محدثات، وتوسع فيها المعاصرون إلى الضلالات والكذب.

فكل هذا لأنه ليس منهج السلف رضوان عليهم، وكل فعل لم ينضبط بضوابطهم فهو باطل.

وسوف ننقل هذه التخريفات التي توسع فيها المعاصرون في كتابنا" المس الشيطاني والرقية بين أهل السنة وأهل البدعة"

حادي عشر: حكم استخراج الشياطين من المصروع

من المعلوم كما بينا أن الحكم الشرعي لا يثبت إلا بالكتاب والسنة وأن العمل المتعلق بالديانة لابد وأن يكون عليه عمل النبيﷺ وأصحابه.

وعندما ننظر إلى موضوع استخراج الشياطين من المصروع نجد أنه لا من سنة النبيﷺ ولا الصحابة ولا التابعين.

ولكن نجد لشيخ الإسلام ابن تيمية رأي آخر في ذلك؛ إذ أحدث حكما لم يكن موجودا من ذي قبل.

قال رحمه الله:

وأما قول السائل: هل هذا مشروع؟

فهذا من أفضل الأعمال، وهو من أعمال الأنبياء والصالحين فإنه ما زال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بنى آدم بما أمر الله به ورسوله كما كان المسيح يفعل ذلك. اهـ[1]

ولنا مع كلام شيخ الإسلام وقفات

الوقفة الأولى: لا يثبت الحكم الشرعي إلا بالكتاب والسنة

فقول شيخ الإسلام: " فهذا من أفضل الأعمال".

افضل الأعمال لا تثبت إلا بكتاب أو سنة صحيحة، ولكن بالقياس لا يكون ذلك.

وأي عمل لم يكن عليه النبيﷺ ولا أصحابه فالتقرب به بدعة.

وحيث أنه لم يثبت ذلك فالقول بأنه أفضل الأعمال فمخالف لما عليه السلف.

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (١٩/ ٥٦).

الوقفة الثانية: ما ذكره عن الأنبياء والصالحون لا دليل عليه

حيث قال شيخ الإسلام: " وهو من أعمال الأنبياء والصالحين فإنه ما زال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بنى آدم بما أمر الله به ورسوله"

ولنا أن نقول: من هم الأنبياء والصالحون الذي كانوا يفعلون ذلك؟ وما هو السند المتصل الصحيح إليهم؟.

فنحن كما ذكرنا سابقا أن أخبار الأنبياء والصالحين من الأمم السابقين لم نعرفها إلا من خلال الكتاب والسنة الصحيحة.

أما ما ورد من قصص وحكايات الإسرائيليات فلا يثق بها ولا يثبت بها حكما شرعيا، بل إذا لم تخالف شرعنا وعقيدتنا فنحكيها للعبرة والعظة وليست للاستدلال.

وأفضل الصالحين بعد الأنبياء هم صحابة رسول اللهﷺ، وإذا كان لم يثبت عنهم فعل ذلك، فمن يقصد شيخ الإسلام بالصالحين؟.

وكذلك لم نسمع عن أحد من التابعين كان يعمل في استخراج الشياطين ودفعها عن المصروع. وكذلك تابع التابعين.

وشيء لم يكن عليه لا النبي ولا الصحابة ولا التابعين ويتخذ قربة فهو بدعة.

فتبين أن ما استدل به شيخ الإسلام إنما هو وقع منه رحمه الله، ومما يؤسف اتخذه المقلدة المتعصبة دليلا شرعيا واعبروا ذلك دينا وجهادا.

الوقفة الثالثة: الاستدلال بكلام النصارى أمر خطير جدا

١- فقوله رحمه الله: " كما كان المسيح يفعل ذلك" لم يثبت لا في الكتاب ولا في السنة أن المسيح كان يفعل ذلك.

وإذا ثبت على سبيل الحكاية ولم يعمل به النبيﷺ ولم يقتدي به أصحابه فليس لنا دينا نتبعه. ولا يؤخذ منه حكما شرعيا.

فنحن أمرنا باتباع نبينا ﷺ وليس باتباع سائر الأنبياء إلا فيما جاء به النبيﷺ وعمل به وعمل الصحابة به أيضا.

٢- أيد الشبلي كلام ابن تيمية في ذلك فنقل من كتب الأناجيل ما يثبت ذلك.

وهذا شيء خطير جدا؛ فهو يدفع إلى التصديق بكتب النصارى التي بين أيديهم باعتبارها أنها منزلة من عند الله تعالى، أو أن سندها صحيحا إلى المسيح، أو إلى قائلها.

ففي إنجيل متى: وما إن خرجا، حتى جاءه بعضهم بأخرس يسكنه شيطان. فلما طرد الشيطان، تكلم الأخرس. فتعجبت الجموع، وقالوا:

«ما شوهد مثل هذا قط في إسرائيل». أما الفريسيون فقالوا: «إنه يطرد الشياطين برئيس الشياطين!» انتهى

وجاء أيضا فيه: ثم أحضر إليه رجل أعمى وأخرس يسكنه شيطان، فشفاه حتى أبصر وتكلم. فدهش الجموع كلهم، وقالوا: «لعل هذا هو ابن داود!» أما الفريسيون، فلما سمعوا بهذا قالوا: «إنه لا يطرد الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين!» انتهى

وجاء في إنجيل مرقس:

ثم وصلوا إلى الضفة المقابلة من البحيرة، إلى بلدة الجراسيين.

وحالما نزل من القارب، لاقاه من بين القبور إنسان يسكنه روح نجس، كان يقيم في القبور.

ولم يكن أحد يقدر أن يقيده ولو بالسلاسل. فإنه كثيرا ما ربط بالقيود والسلاسل، فكان يقطع السلاسل ويحطم القيود، ولم يقدر أحد أن يخضعه.

وكان في القبور وفي الجبال دائما، ليلا ونهارا، يصيح ويجرح جسمه بالحجارة. ولكنه لما رأى يسوع من بعيد، ركض وسجد له، وصرخ بأعلى صوته: «ما شأنك بي يا يسوع ابن الله العلي؟ أستحلفك بالله ألا

تعذبني!» فإن يسوع كان قد قال له؟ «أيها الروح النجس، اخرج من الإنسان!».

وسأله يسوع: «ما اسمك؟» فأجاب: «اسمي لجيون لأننا جيش كبير!» وتوسل إليه بإلحاح ألا يطرد الأرواح النجسة إلى خارج تلك المنطقة. وكان هناك قطيع كبير من الخنازير يرعى عند الجبل، فتوسلت الأرواح النجسة إلى يسوع قائلة: «أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها!» فأذن لها بذلك. فخرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنازير، فاندفع قطيع الخنازير من على حافة الجبل إلى البحيرة، فغرق فيها. وكان عدده نحو ألفين. أما رعاة الخنازير فهربوا وأذاعوا الخبر في المدينة وفي المزارع. فخرج الناس ليروا ما قد جرى، وجاءوا إلى يسوع، فرأوا الذي كان مسكونا بالشياطين جالسا ولابسا وصحيح العقل، فاستولى عليهم الخوف. فحدثهم الذين رأوا ما جرى بما حدث للمجنون وللخنازير

فأخذوا يرجون من يسوع أن يرحل عن ديارهم. وفيما كان يركب القارب، توسل إليه الإنسان الذي كانت الشياطين تسكنه أن يرافقه. فلم يسمح له، بل قال له: «اذهب إلى بيتك، وإلى أهلك، وأخبرهم بما عمله الرب بك ورحمك». انتهى

هذا بعض ما ورد في اناجيل النصارى المفتعلة.

ومن المعلوم أن هذه الأناجيل ليست كتاب الله تعالى، فلا نؤمن بجاء فيها.

وأيضا لو فرضنا أنها كتب نقلت حياة المسيح عليه السلام، فهذه الكتب لم ينقلها الصالحون، الثقات. وأيضا لم يكن لهذه الكتب أسانيد صحيحة، وقد اعتراها التبديل والتغيير عبر العصور.

فكيف نصدق مثل هذا الكلام؟ فضلا أن نأخذ منه حكما شرعيا تعبديا؟.

٣- إذا استدللنا بمثل هذا الكلام فهذا لا يمنع أن نستدل بباقي الكلام، وإذا قلنا لم يثبت رجعنا إلى نفس السؤال السابق.

فعندما ننكر على النصارى كلامهم يقولون لنا: كيف وقد أخذتم به في موضوع المس الشيطاني؟.

فما استدل به شيخ الإسلام ابن تيمية هنا باطل.

وقال عنهم:

حتى إني رأيت في ذلك من الكذب والبهتان أكثر مما رأيته من الكذب في كثير من كتب اليهود والنصارى، وهذا إنما ابتدعه وافتراه في الأصل قوم من المنافقين والزنادقة؛ ليصدوا به الناس عن سبيل اللّه.

ويفسدوا عليهم دين الإسلام، وابتدعوا لهم أصل الشرك المضاد لإخلاص الدين للّه. اهـ[1]

٤- قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

- وهذا كالإسرائيليات يجوز أن يروى منها ما لم يعلم أنه كذب للترغيب والترهيب فيما علم أن الله أمر به في شرعنا ونهى عنه في شرعنا.

- فأما أن يثبت شرعاً لنا بمجرد الإسرائيليات التي لم تثبت فهذا لا يقوله عالم، ولا كان أحمد بن حنبل ولا أمثاله من الأئمة يعتمدون على مثل هذه الأحاديث في الشريعة. اهـ[2]

فهذا بين واضح من منهجه رحمه الله، ولذلك يجب تطبيقه هنا؛ وأن الإسرائيليات لا يؤخذ منها أحكاما شرعية إذا كانت صحيحة، فكيف وإن كان الأصل فيها الكذب؟ مثل كتب الأناجيل والتوراة المكتوبة بأيدي الأحبار والرهبان؟.

(١) الجهاد في سبيل الله عند ابن تيمية (١/ ١٢٠).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ١٧٦).

الوقفة الرابعة: كلام جيد للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله

قال رحمه الله:

فإن قيل إن الأناجيل أثبتت أن الشياطين تدخل في أجساد الناس وتصرعهم، وأن المسيح عليه السلام كان يخرج هذه الشياطين بإذن الله تعالى منهم، وفي القرآن المجيد ما يشير إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[البقرة: ٢٧٥] وإن قالوا إنه تمثيل حكى به ما كان مألوفا عند العرب. وقد حكي عن بعض العلماء المحققين دون الخرافيين وقائع فيه كوقائع الإنجيل، ومن ذلك ما حكاه العلامة ابن القيم عن أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية، فهل تنكر كل ذلك أم ماذا تقول فيه؟.

فالجواب: إننا وإن كنا لا نعرف لهذه الأناجيل أسانيد صحيحة متصلة، وقد أمرنا ألا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم فيما لا حجة له أو عليه في كتابنا – وإن كان شيخا الإسلام من أجل الثقات عندنا فيما يرويان عن أنفسهما وعن غيرهما بالجزم – فإننا نقول: إن وقائع الأحوال في هذا المقام فيها إجمال، هي به قابلة لأنواع شتى من الاحتمال. على أن ما يؤخذ منها على ظاهره لا حجة فيه على شيء من أعمال الدجالين التي ينكرها الشرع والعقل، وأين دجل هؤلاء

الفساق المحتالين من معجزة أو كرامة يكرم الله بها نبيا مرسلا أو وليا صالحا، فيشفي على يديه مصروعا ألم به الشيطان أم لم يلم، وما إلمام الشيطان ببعض الناس بالمحال عقلا حتى نحار في فهم أمثال هذه الروايات النادرة عند أهل الكتاب وعندنا بل عند جميع الأمم، وأن بعض الأمراض العصبية التي يصرع أصحابها لابسهم الشيطان فيها أم لا لتشفى بتأثير الاعتقاد وبتأثير إرادة الأرواح القوية إذا توجهت إلى الله تعالى سائلة شفاءها، وما نحن بالذين يدارون الماديين أو يبالون بإنكارهم لكل ما لا يثبته الحس لهم، بل نرى أن جملة ما روي عن الأنبياء والعلماء وما اشتهر عند كل الأمم يفيد في مجموعه التواتر المعنوي في إثبات أصل لهذه المسألة.

وما لنا لا نذكر أنه قد وقع لنا من ذلك ما يعده كثير من الناس أمرا عظيما ويستبعدون أن يكون من فلتات الاتفاق ونوادر المصادفات.

من ذلك أنه كان في بلدنا (القلمون) في سورية رجل صياد اسمه (عمر كسن) رمى شبكته ليلة في البحر فسمع صوتا غير مألوف فما لبث بعد ذلك أن صار يصرع، ويخيل هجوم فئة من الجن عليه يضربونه متهمين إياه بإصابة فتاة منهم، ورآني وهو غائب عن الحس بالهيئة التي كنت أخلو فيها للعبادة وذكر الله في حجرة خاصة، وبيدي مخصرة

قصيرة من الأبنوس كنت أعتمد عليها – ولم يكن رأى ذلك قط – رآني أطرد الجن عنه بهذه المخصرة، وكان أهله قد ذكروا لي أمره، ثم دعوني إلى رؤيته ورقيته والدعاء له، فذهبت فألفيته مغمى عليه لا يرى ولا يسمع ممن حوله شيئا، ولكن كان يقول: جاء سيدنا الشيخ رشيد.... ولما رأيته على هذه الحالة توجهت إلى الله تعالى بإخلاص وخشوع ووضعت يدي على رأسه وقلت: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٣٧] (١) ففتح عينيه وقام كأنما نشط من عقال، ثم عاد إليه هذا بعد زمن طويل لا أذكره وشفاه تعالى وأذهب عنه الروع ثانية بنحو مما أذهبه عنه في المرة الأولى، ولكنني لم أر أولئك الجن الذين كان يراني أجادلهم وأذودهم عنه، والواقعة تحتمل التأويل عندي، ولا أعدها دليلا قطعيا على كون صرعه كان من الجن، كما أنه لا مانع عندي أن يكون منهم، وقد ذكرت هذه الواقعة لشهرتها عندنا في البلد وكثرة من شهدها.

(١) رقيته بهذه الآية تحتاج إلى دليل.

وقد يكون من غريب الاتفاق أنني كنت أعاشر بعض أصحاب هذا الصرع ولكن لم يكن يحدث لهم وأنا معهم قط، ومنهم حموده بك أخو شيخنا الأستاذ الإمام، كنت أكثر الناس معاشرة لهم، وما من أحد كان يكثر زيارتهم إلا ورأى حموده يصرع ولا سيما بعد اشتداد النوبات عليه في أثناء مرض الشيخ وبعده، حتى كانت ربما تتعدد في اليوم الواحد، ولكنني كنت أمكث عندهم في الإسكندرية الأيام والليالي، ولم يقع له شيء من ذلك أمامي.

ومثله في ذلك صديقنا محمد شريف الفاروقي – رحمهما الله تعالى – ولا أستبعد أن يكون لبعض الأرواح تأثير في بعض بإذن الله تعالى، كما لا أنفي على سبيل القطع أن يكون ذلك من نوادر الاتفاق، وكان شيوخ بلدنا ينقلون عن جدي الثالث غرائب في هذا الباب.

وإنني لم أذكر هذا إلا لأمرين:

أحدهما: ألا يظن ظان أني أميل في تشددي في كشف غش الدجالين إلى آراء الماديين.

وثانيهما: ألا يجعل أحد ما نقل عن مثل شيخ الإسلام من إرساله رسولا إلى المصروع يخرج منه الشيطان حجة على من ينكر دجل هؤلاء الضالين من عباد الشياطين أو الدعاة إلى عبادتهم، بتخويف الناس مما لا

يخيف منهم، أو التقرب إليهم بما يعد عبادة لهم، كما يعبد اليزيدية إبليس جهرا بدعوى أنهم بذلك يتقون شره والعياذ بالله تعالى. اهـ[1]

ثاني عشر: استدلال ابن تيمية بأحاديث ضعيفة

استدل شيخ الاسلام ببعض الأحاديث، وقد رواها بالمعنى.

فقال: وكما كان نبينا يفعل ذلك.

١- فقد روى أحمد في مسنده وأبو داود في سننه من حديث مطر بن عبد الرحمن الأعنق قال حدثتني أم أبان بنت الوازع بن زارع بن عامر العبدي عن أبيها أن جدها الزارع انطلق إلى رسول الله فانطلق معه بابن له مجنون أو ابن أخت له.

قال جدي: فلما قدمنا على رسول اللهﷺ قلت: إن معي ابنا لي أو ابن أخت لي مجنون؛ أتيتك به تدعو الله له.

قال: «إئتني به» قال: فانطلقت به إليه وهو في الركاب، فأطلقت عنه وألقيت عنه ثياب السفر وألبسته ثوبين حسنين وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﷺ فقال: «ادنه مني، اجعل ظهره مما يليني» قال بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله، فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه ويقول: «أخرج عدو الله، أخرج عدو الله».

(١) تفسير المنار (٨/ ٣٢٩).

فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول، ثم أقعده رسول اللهﷺ بين يديه، فدعا له بماء فمسح وجهه، ودعا له، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول اللهﷺيفضل عليه.

٢- وقال أحمد في المسند: ثنا عبد الله بن نمير، عن عثمان بن حكيم، انا عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن يعلى بن مرة قال: لقد رأيت من رسول اللهﷺ ثلاثا ما رآها أحد قبلي، ولا يراها أحد بعدي؛ لقد خرجت معه في سفر، حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها فقالت: يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة.

قالﷺ: «ناولينيه» فرفعته إليه، فجعله بينه وبين واسطة الرحل، ثم فغر فاه فنفث فيه ثلاثا وقال: «بسم الله أنا عبد الله اخسأ عدو الله»، ثم ناولها إياه فقال: «ألقينا في الرجعة في هذا المكان فأخبرينا ما فعل»

قال: فذهبنا ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث فقالﷺ: ما فعل صبيك؟.

فقالت: والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئا حتى الساعة، فاجتر هذه الغنم، قال: «أنزل خذ منها واحدة ورد البقية» وذكر الحديث بتمامه.

٣- ثنا وكيع، قال ثنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن يعلى بن مرة، عن أبيه — قال وكيع مرة يعنى الثقفي ولم يقل مرة عن أبيه- أن امرأة جاءت إلى النبيﷺ معها صبى لها به لمم فقال النبي ﷺ: « اخرج عدو الله أنا رسول الله».

قال: فبرأ، قال: فأهدت إليه كبشين وشيئا من أقط، وشيئا من سمن قال فقال رسول الله ﷺ: «خذ الأقط والسمن وخذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر».

٤- ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله ابن حفص، عن يعلى بن مرة الثقفي قال: ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول اللهﷺ - وذكر الحديث وفيه- قال: ثم سرنا فمررنا بماء، فأتته امرأة بابن لها به جنة فأخذ النبيﷺ بمنخره فقال: «اخرج انى محمد رسول الله».

قال: ثم سرنا، فلما رجعنا من سفرنا؛ مررنا بذلك الماء، فأتته المرأة بجزر ولبن؛ فأمرها أن ترد الجزر وأمر أصحابه فشربوا من اللبن، فسألها عن الصبى؟.

فقالت: والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك.

ولو قدر أنه لم ينقل ذلك لكون مثله لم يقع عند الأنبياء لكون الشياطين لم تكن تقدر تفعل ذلك عند الأنبياء وفعلت ذلك عندنا فقد أمرنا الله ورسوله من نصر المظلوم والتنفيس عن المكروب ونفع المسلم بما يتناول ذلك. اهـ[1]

ومع هذا الكلام وقفات:

الوقفة الأولى: الحديث الأول

أخرجه الطبراني في الكبير (٥٣١٤) من حديث مطر بن عبد الرحمن الأعنق، حدثتني أم أبان بنت الوازع، عن أبيها، أن جدها الزارع، واللفظ الذي ذكره ابن تيمية لفظه وليس ما ذكره عن الإمام أحمد.

أما ما رواه أحمد (٢٤٢٧٠) من حديث مطر بن عبد الرحمن، سمعت هند بنت الوزاع، أنها سمعت الوزاع يقول: أتيت رسول الله ﷺ، والأشج المنذر بن عامر، أو عامر بن المنذر، ومعهم رجل مصاب، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ، فلما رأوا النبي ﷺ وثبوا من رواحلهم، فأتوا النبي ﷺ فقبلوا يده، ثم نزل الشج، فعقل راحلته، وأخرج عيبته ففتحها، فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما، ثم أتى رواحلهم فعقلها، فأتى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: يا أشج، إن فيك خصلتين يحبهما الله

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (١٩/ ٥٧).

ورسوله: الحلم والأناة فقال: يا رسول الله، أنا تخلقتهما، أو جبلني الله عليهما؟.

قال: بل الله جبلك عليهما. قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله.

فقال الوزاع: يا رسول الله، إن معي خالا لي مصابا، فادع الله له. فقال: أين هو؟ ائتني به.

قال: فصنعت مثل ما صنع الأشج، ألبسته ثوبيه، فأتيته، فأخذ من ردائه فرفعها حتى رأينا بياض إبطه، ثم ضرب بظهره.

فقال: «اخرج عدو الله» فولى وجهه وهو ينظر نظر رجل صحيح.

والحديث واهي.

والحديث فيه علتان:

الأولى: جهالة أم أبان بنت الزارع. وقد تفردت به.

الثانية: الاختلاف في المتن بين ما أخرجه أحمد وما أخرجه الطبراني.

الوقفة الثانية: الحديث الثاني:

أخرجه أحمد(١٧٥٤٨) وابن أبي شيبة(٣٢٤١٢) من حديث عثمان بن حكيم، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن يعلى بن مرة.

وفيه عثمان بن حكيم: مجهول

عبد الرحمن بن عبد العزيز: ضعيف.

لكن للحديث طريق آخر أخرجه ابن السني في اليوم والليلة " (٦٣٣) وهو مسلسل بالمجاهيل والضعفاء.

وأخرجه أحمد(١٧٥٤٩) حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن يعلى بن مرة، عن أبيه.

وفيه انقطاع: المنهال بن عمر: ولا يحفظ له سماع من الصحابة، وإنما روايته عن التابعين الكبار.[١]

الوقفة الرابعة: الحديث الثالث:

ما أخرجه أحمد(١٧٥٦٥) عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن حفص، عن يعلى بن مرة الثقفي.

قال الدارقطني في "العلل": اختلط، ولم يحتجوا به في "الصحيح"، ولا يحتج من حديثه إلا بما رواه الأكابر: شعبة، والثوري، ووهيب، ونظراؤهم، وأما ابن علية والمتأخرون ففي حديثهم عنه نظر.اهـ[٢]

(١) ميزان الاعتدال (٤/ ١٩٢).

(٢) علل الدارقطني (١١/ ١٤٣).

هذه الأحاديث التي استدل بها شيخ الإسلام كلها ضعيفة وواهية لا تقوم بها حجة ولا يثبت بها حكم شرعي ومعلوم أن الحكم الشرعي لا يثبت إلا بحديث صحيح كما قال هو أيضا رحمه وفصل ذلك فقال:

ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن فقد غلط عليه.

ولكن كان في عرف أحمد بن حنبل ومن قبله من العلماء أن الحديث ينقسم إلى نوعين: صحيح، وضعيف.

– والضعيف عندهم ينقسم إلى ضعيف متروك لا يحتج به، وإلى ضعيف حسن، كما أن ضعف الإنسان بالمرض ينقسم إلى مرض مخوف يمنع التبرع من رأس المال، وإلى ضعف خفيف لا يمنع من ذلك.

– وأول من عرف أنه قسم الحديث ثلاثة أقسام – صحيح، وحسن، وضعيف – هو أبو عيسى الترمذي في جامعه.

والحسن عنده ما تعددت طرقه ولم يكن في رواته متهم وليس بشاذ.

– فهذا الحديث وأمثاله يسميه أحمد ضعيفاً ويحتج به، ولهذا مثل أحمد الحديث الضعيف الذي يحتج به بحديث عمرو بن شعيب وحديث إبراهيم الهجري ونحوهما. وهذا مبسوط في موضعه. اهـ[1]

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ١٧٦).

وقال رحمه الله:

قول أحمد بن حنبل: إذا جاء الحلال والحرام شددنا في الأسانيد؛ وإذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الأسانيد.

وكذلك ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال: ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الذي لا يحتج به.

فإن الاستحباب حكم شرعي؛ فلا يثبت إلا بدليل شرعي.

ومن أخبر عن الله أنه يحب عملا من الأعمال من غير دليل شرعي فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله؛ كما لو أثبت الإيجاب أو التحريم.

ولهذا يختلف العلماء في الاستحباب كما يختلفون في غيره؛ بل هو أصل الدين المشروع.

وإنما مرادهم بذلك: أن يكون العمل مما قد ثبت أنه مما يحبه الله أو مما يكرهه الله بنص أو إجماع كتلاوة القرآن؛ والتسبيح والدعاء؛ والصدقة والعتق؛ والإحسان إلى الناس؛ وكراهة الكذب والخيانة؛ ونحو ذلك. اهـ[1]

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٦٥).

وما استدل به شيخ الإسلام من أحاديث في حكم استخراج الشياطين لا هي حسنه لغيرها ولا لذاتها ولا صحيحة. فسقط الاستدلال بها.

وكل أحاديث هذا الباب ضعيفة أو منكرة لا تقوم بها الحجة وقد فصلناها في كتابنا" المس الشيطاني والرقية بين أهل السنة وأهل البدعة"

الوقفة الخامس: قد يحتج بعض المقلدة بتصحيح بعض أهل العلم

فنقول: على فرض صحة الأحاديث، فهنا عدة أمور لا ينتبه لها الدجالين:

١- أن الذي دخل الجسد شيطان وليس جنا وهناك فرق كما بينا ذلك.

٢- أن هذا فعل النبيﷺ، ولم يقم أحد من الصحابة بمثل ما فعل، فلا يجوز مخالفة منهجهم في ذلك.

٣- لم يوجد أحد من الصحابة كان متخصصا في استخراج الشياطين من الناس ولا التابعين، ولا تابعيهم. وإنما كان هذا من السحرة والكهان والدجالين.

٤- أن النبي ﷺ علم هذا الشيطان بوحي وليس بعلامات معينة، أو أعراض معينة، فمن ادعى أن الموجود على فلان بعينه شيطانا فهو كذاب مدعي للغيب بلا دليل.

الوقفة السادسة: هذه الأحاديث تدل على النكارة

وذلك لحديث المرأة التي كانت تصرع فقد روى مسلم (٢٥٧٦) عن طَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» قَالَتْ: أَصْبِرُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا.

وهذا لفظ البخاري أيضا(٥٦٥٢) باب فضل من يصرع من الريح

قال ابن حجر:

وقد يؤخذ من الطرق التي أوردتها أن الذي كان بأم زفر كان من صرع الجن لا من صرع الخلط، وقد أخرج البزار وبن حبان من حديث أبي هريرة شبيها بقصتها ولفظه: "جاءت امرأة بها لمم إلى رسول الله ﷺ فقالت: ادع الله، فقال: «إن شئت دعوت الله فشفاك وإن شئت صبرت ولا حساب عليك».

قالت: بل أصبر ولا حساب علي.

وفي الحديث: فضل من يصرع وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة.

وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة.

وفيه دليل على جواز ترك التداوي.

وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير وأن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية؛ ولكن إنما ينجع بأمرين:

أحدهما: من جهة العليل وهو صدق القصد.

والآخر: من جهة المداوي وهو قوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل والله أعلم. اهـ[1]

وهذا الحديث رد على القول بوجوب استخراج الشياطين من الإنسان. فليس في الحديث ما يدل على الدخول، وإنما ما يدل على الأذى بالمس.

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١١٥).

وأيضا فإن النبيﷺ لم يقل لها اذهبي فاسترقي من الشيطان، ولم يقم النبيﷺ برقيتها. ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة

ومن ادعى أن من الواجب في هذا الجانب أنه يجب دفع الأذى عن من وقع في ذلك، فهذا قول على الله بغير علم.

الوقفة السادس: من يشخص المس والسحر؟

لم يثبت أن أحد من الصحابة شخَّصَ حالةَ مس شيطاني أو سحر على مصاب، وغنما ثبت هذا عن السحرة والعرافيين.

وما ثبت عن النبيﷺ كلها أحاديث ضعيفة وواهية لا يثبت بها حكما، وكذلك لم يثبت عن أحد من التابعين أن فعل ذلك وأخبر مصابا أن عليه سحرا أو شيطانا.

والنبي ﷺ أصيب بالسحر ولم يشخِّص حالته، حتى نزل جبريل ومعه ملك فأخبر أن النبيﷺ مصاب بسحر.

فمن ادعى أنه يعرف مصابا بسحر أو مس شيطاني فإما أنه يعلم الغيب وهذا كفر، وإما أنه عرَّاف أو ساحر، وإما أنه كذاب محتال.

ولا يستطيع أحد أن يثبت ذلك عن السلف أبدا.

الفصل الرابع

الاستعانة بالجن

أثار شيخ الإسلام ابن تيمية قضية الاستعانة بالجن في فتاويه، واتخذها كثير من أصحاب الهوى حجة على الاستعانة بالجن على استخرج الشياطين زعموا بالرغم من خطأ شيخ الإسلام في هذا الجانب ومخالفته لمنهج السلف.

أولا: مسألة الاستعانة

معلوم أن الاستعانة بالمخلوق لها أنواع:

النوع الأول: الاستعانة بالإنس فيما يقدر عليه.

فهذا جائز باتفاق، وهو من باب التعاون على البر والتقوى قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة: ٢].

النوع الثاني: الاستعانة بالإنس فيما لا يقدر عليه.

وهذا إما أن يكون من حاضر فهو عبث.

وإما أن يكون من غائب فهذا شرك.

كمن يطلب من شيخ أو مقبور نفع أو رفع ضر، فهذا شرك.

ثانيا: الاستعانة بالجن

الجن كما علمنا عالم غيبي عنا لا نراه على طبيعته، وقد يراه أحد الناس أحيانا، وهذا شيء نادر.

فطلب الاستعانة من غائب لا نعلم وجوده أما هذا شرك بالله تعالى.

وإذا كان ظن أنه متشكلا فهذا لم يفعله النبي ﷺ ولا الصحابة.

ولم يثبت أنه تشكل أبدا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال:

فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه، ويأمر الإنس بذلك، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه.

ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم، ويستعملهم في مباحات له، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك، وهذا إذا قدر أنه من أولياء الله تعالى فغايته أن يكون في عموم أولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول: كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله إما في الشرك وإما في قتل معصوم الدم أو في العدوان عليهم بغير القتل، كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص: إما فاسق وإما مذنب غير فاسق، وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات: مثل أن يستعين بهم على الحج، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي، أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة، ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به.

وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن، بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات وخوارق للعادات، وليس عنده من حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية وبين التلبيسات الشيطانية، فيمكرون به بحسب اعتقاده، فإن كان مشركًا يعبد الكواكب والأوثان أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح، فيظن أنه صالح، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان، قال الله

تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[سبأ: ٤٠، ٤١].

ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له، ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون.

فإن كان نصرانيًا واستغاث بجرجس أو غيره، جاء الشيطان في صورة جرجس أو من يستغيث به، وإن كان منتسبًا إلى الإسلام واستغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين جاء في صورة ذلك الشيخ، وإن كان من مشركي الهند جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك.

ثم إن الشيخ المستغاث به إن كان ممن له خبرة بالشريعة لم يعرفه الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغيثين به، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة له بأقوالهم نقل أقوالهم له فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البعد وأجابهم، وإنما هو بتوسط الشيطان.

ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هذا بصورة مكاشفة ومخاطبة، فقال: يرونني الجن شيئًا براقًا مثل الماء والزجاج،

ويمثلون له فيه ما يطلب منه الإخبار به، قال: فأخبر الناس به، ويوصلون إلى كلام من استغاث بي من أصحابي فأجيبه فيوصلون جوابي إليه.

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق إذا كذب بها من لم يعرفها وقال: إنكم تفعلون هذا بطريق الحيلة، كما يدخل النار بحجر الطلق وقشور النارنج، ودهن الضفادع، وغير ذلك من الحيل الطبيعية فيعجب هؤلاء المشايخ ويقولون: نحن والله لا نعرف شيئًا من هذه الحيل، فلما ذكر لهم الخبير إنكم لصادقون في ذلك، ولكن هذه الأحوال شيطانية أقروا بذلك وتاب منهم من تاب الله عليه لما تبين لهم الحق، وتبين لهم من وجوه أنها من الشيطان، ورأوا أنها من الشياطين لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي لله، فلا تحصل عند ما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية، فعلموا أنها حينئذ من مخارق الشيطان لأوليائه؛ لا من كرامات الرحمن لأوليائه.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم بالصواب[1]

وقال أيضا:

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: ٣٢١) ، مجموع الفتاوى (١١/ ٣٠٧).

وأيضًا فإنه لا يجوز الاستعانة بالجن ولا غيرهم على ما هو ظلم، ولا يجوز ظلم الجن ولا الإنس، ولا يجوز لأحد أن يحكم في أحد من الجن والإنس إلا بحكم الله ورسوله. اهـ[1]

وقفات مع كلام ابن تيمية:

الوقفة الأولى: ملخص لما قاله ابن تيمية في الاستعانة بالجن.

١- الاستعانة بالجن على فعل شرك فهذا مشرك.

٢- الاستعانة بالجن على فعل محرم فهذا فاسق أو مذنب.

٣- الاستعانة بهم على حمله من مكان إلى مكان لإثبات كرامة فهذا مغرر به.

٤- الاستعانة بهم على فعل مباح فهو مباح.

وهذا الأخير له ضابطان:

الأول: أن يكون المستعين والمستعان به من الصالحين.

الثاني: أن يكون المستعين من الإنس هو الآمر الناهي.

وجرى على هذا الكلام بعض المعاصرين أمثال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

(١) تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصرع الصحيح وصفة الخواتيم (ص: ٣٢).

الوقفة الثانية: كل فعل لم يفعله النبي ﷺ ويقدر أن يفعله ولم يفعله وكان دينا ففعله باطل وبدعة.

وذلك أن النبي ﷺ لم يثبت أنه استعان بالجن في أي شيء من حياته أو مهمات المسلمين. وكل ما قاله شيخ الإسلام خرافات لا وجود لها.

١- فكان النبي ﷺ في حاجة أن يعرف أخبار أبي سفيان وهو راجع من بلاد الشام قل غزوة بدر، فبدلا من أن يرسل بعض الصحابة يتقصوا آثار أبي سفيان كان من الممكن أن يرسل جنيا ليعرف أين مكانه؛ ومع ذلك لم يفعل النبيﷺ.

٢- النبيﷺ بدلا من الدعاء على رعل وذكوان الذين قتلوا القراء أن يرسل عددا من الجن ليعرفوا مكان هؤلاء ويتم قتلهم؛ ولم لكن النبيﷺ لم يفعل ذلك.

٣- في غزوة الخندق بدلا من أن يبعث النبيﷺ أحد الصحابة يدخل وسط المشركين ليعرف أخبارهم كان من الممكن أن يرسل إليهم جنا يقوم بهذه المهمة، ولكن النبيﷺ لم يفعل ذلك.

٤- بدلا من إرسال محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف والمغامرة بصحابي كان الممكن أن يرسل جنا يقوم بهذه المهمة.

٥- لم يثبت أن النبيﷺ استعان بجنا في أي من المهام، والنبيﷺ سيد المتقين، وكان يمكن بوحي أن يرى الجن ويكلمهم ويأمرهم وينهاهم، ومع ذلك لم يفعل.

الوقفة الثالثة: الصحابة أفضل الناس بعد الأنبياء

فهم أهل التقوى وأهل المغفرة، وكانوا سادة، ومع ذلك لم يثبت:

١- أن استعان أبو بكر الصديق في حروب الردة بأي جن ليأتي له بأخبار المرتدين أو الكذابين

٢- لم يثبت أن استعان عمر بن الخطاب بجيش من الجان ليقاتل الفرس أو الروم، وكان من الممكن أن يرسل جماعة من الجن إلى ملوك الفرس والروم ليقتلوهم وتنتهي حروبهم بدلا من إرهاق المسلمين.

٤- لم يثبت أن استعان عثمان بن عفان بالجن لحراسته من الخوارج، حتى لا يقتلوه وتحدث الفتن بين المسلمين.

٥-لم يثبت استعان علي بن أبي طالب بالجان لقتال الخوارج ولحراسته حتى لا يقتلوه.

٣- لم يثبت أن استعان أحد من الخلفاء الأمويين ولا العباسيين بالجن في قتال المتمردين.

وهكذا عبر أمة الإسلام لم يفعل أحد لا من الحكام ولا من العلماء والأئمة ذلك .

فكون شيخ الإسلام يقول هذا مباح ويقيس ذلك على حال الإنس مع الإنس فهذا قياس فاسد باطل، فليس هو بأفضل من النبي ولا الصحابة ولا الخلفاء ولا الأئمة حتى يقول ما قال صدقا.

ولينتبه كل عالم أو طالب علم أن كلام العالم لابد وأن يوزن بميزان الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

وبهذا نكون قد بلغنا أمرنا في التعليق على الأشياء المهمة في كلام شيخ الإسلام والتي خالفت الشرع والأصول. ومن أراد تفصيل الكلام في مس الشيطان والرقية وضوابطها فليرجع إلى كتابنا "المس الشيطاني والرقية بين أهل السنة وأهل البدعة" ففيه ما يكمل هذا الكتاب من بدع الدجالين والمشعوذين من أصحاب اللحى مدعي السلفية زورا وبهتانا وجهلا وعميانا. والحمد لله رب العالمين. وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس الكتاب

مقدمة الكتاب ٣
تمهيد ٩
القاعدة الأول: فهم القرآن والسنة بفهم الصحابة ٩
القاعدة الثانية: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ١٢
القاعدة الثالثة: التقليد ليس دينا والتعصب له ضلال. ١٦
الفصل الأول: الجن وتكليفهم بعموم الرسالات ٢٠
أولا: وجود الجن وتكليفهم بعموم الرسالة ٢٠
ثانيا: التواتر عن الأنبياء لا دليل عليه ٢٧
ثالثا: الجن عقلاء لهم حرية وإرادة ٢٨
رابعا: الكلام في التواتر بما لا دليل عليه ولا ضابط له ٢٩
الفصل الثاني: علاقة الجن بالإنس ٣١
أولا: التفرقة بين الشيطان والجن ٣١
الوقفة الأولى: الخلط بين الجن والشيطان ٣٢
الوقفة الثانية: أبو الحسن الأشعري ٣٣
الوقفة الثالثة: أبو الحسن الأشعري تكلم عن الدخول وليس الصرع ٣٧
الوقفة الرابعة: ما هو سبب تعميم شيخ الإسلام الصرع للجن؟ ... ٣٩

الوقفة الخامسة: ما نقل عن الإمام أحمد رحمه الله باطل: ٤٤
الوقفة السادسة حكاية دخول الجن في الإنسان..... ٤٦
ثالثا: كلام شيخ الإسلام في دخول الجن لبدن الإنس. ٥٤
الوقفة الأولى: حكاية الاتفاق لا دليل عليه..... ٥٥
الوقفة الثانية: لم يذكر أحد من الصحابة أو التابعين دخول الجن بدن الإنسان مطلقا..... ٥٦
الوقفة الثالثة: استدلاله بالآية وكلام الإمام أحمد خطأ ٥٦
الفصل الثالث: الصرع والرقية في ميزان السلف..... ٥٨
أولا: مسألة الصرع ٥٨
الوقفة الأولى: اعتماده على كلام الإمام أحمد..... ٥٩
الوقفة الثانية: قوله" أمر مشهور فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه" ٥٩
الوقفة الثالثة: ضرب المصروع لم يثبت ٦١
الوقفة الرابعة: ترتب العلم على ترتب الأثر ٦٣
الوقفة الخامسة: كلام حق ولكن يراد به باطل ٦٤
ثانيا: أسباب المس الشيطاني ٦٦
الوقفة الأولى: الصرع بسبب الهوى والشهوة والعشق..... ٦٧

الوقفة الثانية: كلام عجيب لا يصدر من مثل شخص شيخ الإسلام ٧١
الوقفة الثالثة: تخمين لابن تيمية عن أسباب صرع الشيطان..... ٧٩
الفصل الثالث: الرقية والعلاج ٨٢
أولا: معناها: ٨٢
ثانيا: أقسام الرقية: ٨٣
ثالثا: صلاحية الرقية..... ٨٤
رابعا: الرقية المحرمة عند شيخ الإسلام..... ٨٥
الوقفة الأولى: خلطه بين الجن والشيطان ٨٦
الوقفة الثانية: ما ذكره حق في جانب الرقية المحرمة..... ٨٦
خامسا: رقية المصروع..... ٨٦
الوقفة الأولى: الحديث الأول ٨٧
الوقفة الثانية: الحديث الثاني:..... ٨٧
الوقفة الثالثة: هل يوجد رقية خاصة بإخراج الشياطين؟ ٨٨
سادسا: الرقية بكلام الشرك وما لم يعرف معنا..... ٩٢
سابعا: الحديث من المصروع باعتباره شيطانا يتكلم ٩٤
الوقفة الأول: أثر أبي موسى الأشعري رضي الله عنه..... ٩٧
الوقفة الثانية: مع أثر أبي الهيثم ٩٩

الوقفة الثالثة: سؤال الشيطان لم يكن على منهج السلف ٩٩
الوقفة الرابعة: إذا صح ان المصروع يتكلم عليه جني ١٠٠
الوقفة الخامسة: لا يوجد صحابي كان يستخرج شيطان على مصروع
..... ١٠٠
الوقفة السادس: فرق بين سؤال الكهان والعرافيين وبين سؤال الجن١٠١
ثامنا: كيفية التعامل مع الشيطان على المصروع ١٠٣
الوقفة الأولى: طريقة باطلة لا دليل عليها ١٠٤
الوقفة الثانية: كيف يخاطب الجني؟ ١٠٤
الوقفة الثالثة: هذا الكلام جر الويلات على الناس ١٠٥
تاسعا: ابن تيمية يرد مسألة لأنه لو لم يرد فيها نص ولا قول صحابي
..... ١٠٥
عاشرا: القراءة على الماء والزيت ونحوه ليس له أصل في الشرع ...١٠٦
الوقفة الأولى: أثر ابن عباس منكر ١٠٨
الوقفة الثانية: الاختلاف في المتن.....١٠٩
الوقفة الرابعة: مثل هذا الكلام يؤدي إلى التوسع فيما لم يرد به نص لا
من الكتاب ولا من السنة ومن أفعال الصحابة. ١١١
حادي عشر: حكم استخراج الشياطين من المصروع ١١١

الوقفة الأولى: لا يثبت الحكم الشرعي إلا بالكتاب والسنة ١١٢
الوقفة الثانية: ما ذكره عن الأنبياء والصالحون لا دليل عليه..... ١١٣
الوقفة الثالثة: الاستدلال بكلام النصارى أمر خطير جدا ١١٤
الوقفة الرابعة: كلام جيد للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله..... ١١٩
ثاني عشر: استدلال ابن تيمية بأحاديث..... ١٢٢
الوقفة الأولى: الحديث الأول ١٢٦
الوقفة الثانية: الحديث الثاني:..... ١٢٧
الوقفة الرابعة: الحديث الثالث: ١٢٨
الوقفة الخامس: قد يحتج بعض المقلدة بتصحيح بعض أهل العلم ١٣١
الوقفة السادسة: هذه الأحاديث تدل على النكارة..... ١٣٢
الوقفة السادس: من يشخص المس والسحر؟..... ١٣٤
الفصل الرابع: الاستعانة بالجن..... ١٣٥
أولا: مسألة الاستعانة ١٣٥
ثانيا: الاستعانة بالجن..... ١٣٦
الوقفة الأولى: ملخص لما قاله ابن تيمية في الاستعانة بالجن. ١٤٠
الوقفة الثانية: كل فعل لم يفعله النبي ﷺ ويقدر أن يفعله ولم يفعله وكان دينا ففعله باطل وبدعة. ١٤١

الوقفة الثالثة: الصحابة أفضل الناس بعد الأنبياء ١٤٢
الفهارس ١٤٤